Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

Intertextuality in the divan of "Ma-la Yaji" (i.e.What does not come) by the poet, Sultan Al-Sabhan

Aishah S. Faihan
Hail University, Saudi Arabia.
Aishah_1401@hotmail.com

Received: 6-6-2023 Revised:19-6-2023 Accepted: 29-9-2023
Published: 1-10-2023

DOI: 10.21608/jssa.2023.215794.1518
Volume 24 Issue 7 (2023) Pp 107-126

Abstract

This research discusses the intertextuality in the of "Ma-la Yaji" (i.e. what does not come) by the Saudi poet, Sultan Al-Sabhan approaching the most projected intertextualities in it. Focusing on its connotations, the general vision it carries, and the knowledge of the traditional sources on which it relied on recalling these intertextualities. The researcher categories his work into two parts; introduction and three other sections. In the introduction, he discusses intertextualities, its mechanisms and grades at the most prominent leaders, starting from Mikhail Bakhtin and Julia Kurtzeva, to Gerard Djinnit, with reference to other pioneers who contributed significantly to the founding of this approach. The first section deals with religious textuality, which was confined to one side of it that is the Holy Quran. The second section addresses the literary intertextuality as both poetry and prose that is represented in Arabic proverbs. The third section exposed the historical intertextuality. Then the researcher concludes his study with the most prominent findings and results of the research. It concluded that religious, literary, and historical heritages had a prominent role in the formation of the collection of poems. Then comes the intertextuality with the poetic heritage, then the historical heritage.

Keywords: Intertextuality, Closeness, Openness, Textual structure.

التّنَاصُ في ديوَان (مَا لَا يَجيء) لسُلطَانَ السّبْهَان

د/ عَائِشَةُ صَالِح فُيحَان الشّمّريّ
الأ ُسْتَاذُ المُشَارِكُ، قِسْم اللّغَةِ العَرَبِيّة، كُلِيّةُ الآدَابِ والفُنُون، جَامِعَةُ حَائِل، المملكة العربية السعودية.
Aishah_1401@hotmail.com

المستخلص:

يَهْدُفُ البَحْثُ إلى مُنَاقشَةِ التّنَاصّ في ديوَان "مَا لَا يَجيء" لِلشّاعِرِ السّعُودِيّ سُلطَان السّبْهَان، مُتَطرّقَةً إلى أبْرَزِ التّنَاصّاتِ فِيهِ، ودَلَالَاتِها، والرُؤْيَةِ العَامّةِ التي تحمِلُهَا، ومَعْرِفَةِ المَصَادِرِ التُرَاثِيّةِ التي اِعْتَمَدَ عَلَيهَا في اِسْتِدْعَاءِ تِلْكَ التّنَاصّاتِ، مُعْتَمِدَةً عَلَى آليات التّنَاصّ، وَقَدْ انقِسْمَ إلى مُقدّمَةٍ، وتوطئَةٍ، وثَلَاثةِ مَبَاحِثَ، تمّ التّطرّقُ في التّوطئَةِ إلى أبْرَزِ مَقُولاتِ التّنَاصّ وآليّاتِهِ وتدرُجاتِهِ عِندَ أبْرَزِ أعلَامِهِ، ابتِدَاءً مِن ميخَائِيل بَاختِين وجُولِيا كِرتسيقا، وُصُولًا إلى جيرار جينيت، معَ الإِ شارَةِ إلى أعْلَامٍ آخَرِينَ، أسْهَمُوا بشَكلٍ كبيرٍ في التّأسيس للتناص، أمّا المبَحْثُ الأ َوّلُ فَقَدْ تطرّقَ إلى التّنَاصّ الدّينِيّ الذي انْحَصَرَ في جَانِبٍ وَاحِدٍ منهُ؛ وَهُوَ التّنَاصُ معَ القُرْآنِ الكريم، في حين يَتَطرّقُ المبَحْثُ الثّانِي إلى التّنَاصّ الأ َدَبيّ بشِقّيهِ: الشّعْرِيّ، والنّثريّ المُتَمَثّلِ في الأ َمْثَالِ العَرَبِيّةِ، وَيَتَطرّقُ المبَحْثُ الثّالِثُ إلى التّنَاصّ التّاريخِيّ، وَقَدْ توصّلَ إلى أنّهُ لَقَدْ كانَ لِلثّقَافَاتِ الدّينِيّةِ والأ َدَبِيّةِ والتّاريخِيّةِ دورٌ بارزٌ في تشكيلِ الدّيوَان، وأنّ ذَلِكَ الا ِنْفِتَاحَ عَلَى التُرَاثِ قد أثرَى لُغةَ النّصّ، وجعَلَ من تِلْكَ النّصُوصِ الشّعْرِيّةِ أُفقًا رَحبًا مُنفتِحًا عَلَى تُراثٍ مُتعدّدِ المَشَارِبِ، لا يلغِي خُصوصِيّةَ الشّاعِرِ، بلْ يُؤصّلِها، ويَطبَعُها بطابعِهِ الخاصّ.

الكلمات الدالة: التّنَاصُ، الانغِلَاقُ، الا ِنْفِتَاحُ، البِنيَةُ، النّصُ.

مقدمة

يُعَدُ التّنَاصُ آليّةً من آليّاتِ مَعْرِفَةِ مُكوّناتِ النّصُوصِ ومشَارِبِها، وَهُو، في هَذَا السّيَاق، آليّةٌ مِن آليّاتِ بِناءِ ديوَان (مَا لَا يَجيء) لِسُلطَان السّبْهَان، الذي يَهْدُفُ هَذَا البَحْثُ إلى دِرَاستِهِ، ومَعْرِفَةِ مكوّناتِهِ المَعْرِفِيّةِ، ومَرجعيّاتِهِ التُرَاثِيّةِ التي اِستلهمَها وَوَظّفَها في نُصُوصِهِ.

ويُحَاوِلُ الإ ِجابةَ عَن: ما النّصُوصِ التي تنَاصّ معَهَا الدّيوَانُ، وكيفَ تناصّ معَهَا، مُعْتَمِدَةً عَلَى آليات التّنَاصّ التي تسْعَى إلى الكشْفِ عَنِ التّعَالُقاتِ النّصّيّة في النّصُوصِ الأ َدَبِيّة وجَمَاليّاتِ توظِيفِهَا.

وتجدُرُ الإشَارةُ إلى عَدَمِ وُجُودِ دِرَاساتٍ سَابقةٍ، تتَطرّقُ إلى هَذَا الدّيوَان من هَذِهِ الزّاوِيةِ المَدرُوسَةِ، وهُنَاكَ دِراسَةٌ بعُنْوَان: (العَتَبَات النّصّيّة في دِيوَان "مَا لَا يَجيء" لسُلطَان السّبْهَان: دِرَاسَةٌ سِيميَائِيّةٌ)، لمُنَى خَلَف العَنْزِيّ، مجلة الجَامِعَةِ الإسلاميّةِ للغةِ العَرَبِيّةِ، وآدابِها، المَدِينَة المُنوّرة، المجلد 1، العدد 1، 2021، 265-307. وهو بَحْثٌ مَوضُوعهُ العتباتُ ومَوضُوعُ هذا البَحْث التّنَاصُ.

وسيكونُ تقسيمُه عَلَى النّحوِ الآتِي:

مُقدّمَةٌ، وتَوْطِئَةٌ، وثَلَاثةُ مَبَاحِثَ، يَتمُ التّطرّقُ في التّوطئَةِ إلى أبْرَزِ مَقُولاتِ التّنَاصّ وآليّاتِهِ وتدرُجاتِهِ عندَ أبْرَزِ أعلَامِهِ، اِبتِدَاءً مِن ميخَائِيل بَاختِين وجُولِيا كِرستيقا، وصُولًا إلى جِيرَار جِينيت،

معَ الإشَارةِ إلَى أعلَامٍ آخَرينَ، أسهَمُوا بشَكلٍ كبيرٍ في التّأسيسِ للتناص، أمّا المبَحْثُ الأوّلُ فيَتطرّقُ إلَى التّنَاصّ الدّينِيّ الذي انحصرَ في جانبٍ واحدٍ منْهُ، وهو التّنَاصُ مَعَ القُرْآنِ الكريمِ، في حين تطرّقَ المبَحْثُ الثّانِي إلَى التّنَاصّ الأدَبِيّ بشِقّيهِ: الشّعْرِيّ، والنّثريّ المُتَمَثّلِ في الأ َمْثَالِ العَرَبِيّةِ، ويَتطرّقُ المبَحْثُ الثّالِثُ إلَى التّنَاصّ التّارِيخِيّ.

وتتمّ دِرَاسَةُ ذَلِكَ؛ كمَا يَأتِي:

توطئة:

تُؤكِدُ مُعظَمُ الدّراساتِ أنّ التّنَاصّ جَاءَ ردًّا عَلَى المُحاولاتِ المَنْهَجيّةِ التِي أغلقتِ النّصّ، وَجعَلتْهُ بنيَةً لُغَويّةً مُكتفِيَةً بِذَاتِها لا تحْتَاجُ إلَى ما يُفسِّرُها من الخَارجِ (الماضي، 1993،ص.194، 195)، وهيَ فِكرَةٌ بنيويّةٌ في الأ َسَاسِ ذَهبَ أصحابُهَا إلَى أنّ النّصّ مَجمُوعَةٌ من العَنَاصِرِ التِي تتعاضَدُ فيمَا بينَها لتَجعَلَ مِنَ النّصّ؛ أيْ نصّ، بِنيَةً قائمَةً بِذاتِها تفسِّرُ منَ الدّاخلِ، عبرَ اكتِشافِ مَجمُوعِ العَلَاقاتِ التِي يُشَيّدُ بِمُوجَبِهَا النّصُ، ويُصبِحُ نصًا مُكتفيًا بِذاتِهِ (وغليسي، 2007، ص.70، 71)، مُنطلِقِينَ مِنْ أنْ هَذِهِ العَلَاقاتِ هيَ التِي تجعلُ النّصّ نصًا؛ استجابةً إلَى مَقُولةِ الشّعْرِيّةِ، أو الأ َدَبِيّةِ، التِي مَفادُها أنّ ثمّةَ مَجمُوعَةً مِنَ السِّماتِ والخَصائِصِ تتوافَرُ في نصّ مَا، وتجعَلُ منهُ نصًا أدَبيًا، يَتَميّزُ عَنِ النُصُوصِ الأ ُخرَى (ياكبسون، 1988، ص.23-34)، وَقَدْ تطوّرتِ المَسْألَةُ بَعْدَ ذَلِكَ حتّى أصبَحَ النُقادُ الّذِينَ نَادَوا بضَرُورَةِ اِنغلَاقِ النّصّ عَلَى ذَاتِهِ ينادُونَ بضَرُورةِ اِنْفِتَاحِ النّصّ عَلَى العالَمِ، وَتفرّقوا بِرُؤَاهُم إلَى مَناهِجَ، أطلِقَ عَلَيهَا ما بَعدَ البِنيَويّةِ، وَكَانَ التّنَاصُ مِن أبْرَزِهَا، وَكَانَ أبْرَزُها "التّنَاصّ"، وهو المُصطلَحُ الذي ابتكرتهُ جُوليَا كرستيفَا (Julia Krsticeva) بعدَ تخلِيها عن الفِكرَةِ البنيويّةِ مُستمِدّةً الشُحنَةَ الدّالِيّةَ لهَذَا المُصْطَلَحِ وأبعادِهِ النّظريّةِ مِن أفكَارِ المفكِرِ الرُوسِيّ مِيخائيلَ بَاختِين (Mikhail Bakhtin) الذي وضَعَ مَبَادِئَ ما عُرِفَ بالحِوَاريّةِ التِي يَرَى بمُوجَبِها أنّ النّصّ مَجْمُوعَةٌ مِنَ التّقاطُعَاتِ الفِكرِيّةِ والاجتماعيّةِ والثّقافيّةِ، ويؤكِدُ أنّهُ "لِكي يشُقّ خِطَابٌ ما طَرِيقَهُ إلَى مَعنَاهُ وتعبيرِهِ فإنّهُ يَجتازُ بيئةً مِنَ التّعْبيرَاتِ والنّبرَاتِ الأ َجنَبِيّةِ، ويَكونُ عَلَى وِئَامٍ مَعَ بَعضِ عَنَاصِرِها، وعَلَى اختلافٍ مَعَ البَعضِ" (باختين، 1987، ص.44)؛ ليُرسيَ بذَلِكَ أُولَى مدَاميكِ التّنَاصّ الذي اقترحتهُ لاحقًا جُوليا كرستيفَا أداةً لتَحْليلِ النُصُوصِ، وتعنِي بِهِ الوجودَ الفعليّ لنَصّ في نصّ آخَرَ (عذاوري، 2012، ص.78)، وأصبحَ النّصُ مِن وِجْهةِ نظرِها مَجموعةً مِنَ النُصُوصِ، بلْ عدّتهُ "ترحالًا لِلنّصُوصِ وتدَاخُلًا نَصِيًّا، ففِي فُضَاءِ نَصّ معيّنٍ تتقاطعُ وتتنافَى ملفوظاتٌ عديدةٌ مقتطعةٌ من نصُوصٍ أُخرى" (كريستطيفا، 2004، ص.21)، وذهبتْ من خِلَالِ ذَلِكَ إلَى أنّ النّصّ يستلهِمُ نصُوصًا عَبرَ طَرائقَ مُتَعَدّدَةٍ، تتمظْهرُ فيها عبْرَ آليّاتٍ اقترحتُها وهي التّصحيفُ، والنّفيُ الكلّيُ، والنّفي المُتوازِي، والنّفي الجُزئيّ (كريستطيفا، ص.78، 79)، فـ"كلّ نصّ يقعُ في مُلتقى مَجْمُوعَةٍ منَ النُصُوصِ بحَيثُ يكونُ هُوَ الجَامعَ بينها والمُشكل لَهَا ومُكثّفُها ومُحوّلها وعُمقها عَلَى السّوَاءِ" (لحمداني، 2001، ص.69)، أيْ إنّ أيّ نصّ لا يُوظّفُ نصًا في بنيتهِ فُحَسبُ، بل قَدْ يعملُ عَلَى نفيهِ وتحويلِهِ؛ أي يعملُ عَلَى حَرفِ بنيتهِ الأ َساسيّة إما عَلَى صَعيدِ الشّكلِ، وإمّا عَلَى صَعيدِ المَضمُونِ، وَقَدْ يَعملُ عَلَى حرفِهما معًا، أو كمَا يُؤكِدُ حميدٌ لحمدانيّ يَعمَلُ النّصُ وَفقَ ما يُعرفُ بالإنتاجيّةِ، التِي تعنِي أنّ النّصّ يتقاطعُ معَ نُصُوصٍ، ويَعمَلُ عَلَى تقويضِها ومن ثمّ دَمجِها بكيفيّةٍ مُختَلِقةٍ في النّصّ (لحمداني، 2001، ص.64)، وتُشيرُ كرستيفا إلَى أنّ أعلَى مَظَاهرِ التّنَاصّ يكونُ الا ِقتِبَاس، الذي يُعَرّفهُ أنطوانُ كمبانيون بكونِهِ "تكرارَ وَحدةٍ خِطابيّةٍ من خِطَابٍ في خِطَابٍ آخَرَ" (ساميول، 2007، ص.22)، وبِعبارةٍ أُخرَى التّنَاصُ عندَ كرستيفا في

شكلهِ الأوّليّ هُوَ الا ِقتِبَاس الذي يأخذُ بمُوجبهِ نصٌ جُزْءًا مِنْ نصّ (أو مَجمُوعَة نُصُوص) ويدمجهُ في بنيتهِ، إنّهُ "حضُورٌ فعليٌ لنصٍّ ما في نصٍّ آخرَ" (حسني، 1999، ص.252).

لقَدْ عملتْ كرستيفا بذَلِكَ عَلَى إعادَةِ تعريفِ نظَريّةِ باختين وتطويعِها، وَتوسِيعِ آليّاتِها، وَحَصْرِها؛ لتُصبحَ آليّةً إجرائيّةً نقديّةً صَالِحَةً لدراسَةِ الخِطاباتِ الأ َدَبِيّةِ كلِّها، بعدَ أنْ كانتِ الفِكرَةُ تتمحور عندَ باختين عَلَى النّصّ السّرْديّ فقطْ عَلَى اعتبار أنّ النّصّ السّرْديّ فيهِ عوالِمُ شتّى منَ التّداخلاتِ الفِكريّةِ والفنّيّةِ واللّغويّةِ التي تتَعَارَضُ مع الذّاتيّةِ المُفْرِطَةِ التي كان يتميّزُ بها الشّعْرُ الغنائيُ (لحمداني، 2001، ص.67)، لكنّ المسألةَ تغيّرتْ كثيرًا عندَ بروزِ الشّعْر الذي استَدْعى جُملةً منَ الآليّاتِ الدّراميّةِ؛ كالرّمْزِ والقنَاعِ والاشتِغالِ عَلَى عَنَاصِرِ التّرَاثِ مُتّخذًا منها أداةً للفصلِ بينَ الذّاتِ والمَوضُوعِ (الصكر، 1999، ص.5)، وهُوَ ما يعنِي أنّ التّنَاصّ هُو الحِوَاريّةُ وامتداداتُها المَعْرِفِيّةُ والمَنْهَجيّةُ معًا، ففِي التّنَاصّ شَيءٌ من الحِوَاريّةِ، وفيهِ منْ رؤًى وطُروحاتٍ يُمْكِنُ أنْ تُطلقَ عَليهَا طُرُوحاتِ ما بعدَ الحِوَاريّةِ، لاسيّما بعدَ أنْ أصْبحَ التّنَاصُّ آلية للمُقارَباتِ النّصّيّةِ شِعْرًا ونثرًا، وأصبحَ ميدانًا للمُقارباتِ النّظريّةِ أيضًا، وكما أنّ فِكْرَةَ الحِوَاريّةِ لمْ تتوقّفْ عند طُرُوحاتِ بَاختِين، وتطوّرتْ عَلَى يدَي كرستيفا فإنّ مُطارَحاتِ التّنَاصّ لمْ تتَوقّفْ عندَ طروحاتِ كرستيفا فَحَسبُ، بل تطوّرتْ بتوَالِي الدّارسينَ بعدَها حتّى أصبحَ التّنَاصُّ آلية قائمة بذاتِها، لا تحتاجُ إلَى مَنْهَجٍ آخَرَ، يسندُهُا بعدَ أنْ منَحَهُ جيرار جينيت (Gerard Jeanette) الأبعادَ الشّموليّةَ، وأسندَها بِجُملةٍ منَ الآليّاتِ المَنْهَجيّةِ، إذْ وَضعَ لها عُنْوَانًا شاملًا يندرجُ تحتَهُ التّنَاصُّ هُو: "المُتعاليَاتُ النّصّيّةُ" (جينيت، 1998، ص.123)، في إضمامَةٍ معَ مُصْطَلحَاتٍ وآليّاتٍ إجرائيّةٍ أُخرَى، أيْ إنّ الانتقالةَ الفِعْلِيّةَ لمْ تكنْ إلّا عَلَى يَدَي هَذَا النّاقدِ الذي لم يقِفْ عنْدَ البُعدِ النّظريّ لِلتّنَاصّ، بل قَسّمَهُ أصْنافًا، ثمّ وضعَ لكلّ صنفٍ من هَذِهِ الأ َصنافِ آليةً، يَسْتَطِيعُ الدّارسُ الارتكازَ عَليهَا عندَ التّحليل، حتّى إنّهُ جعلَ التّنَاصّ عُنصرًا من أقسامِ المتعاليات النّصّيّةِ التي تتَحققُ عبرَها شِعْرِيّةُ النّصّ (جينيت، 1999، ص.123) عَلَى خِلافِ ما ذَهبَ إليهِ البنيويُونَ سَابقًا عندَ تحديدِهم لمفْهُوم الشّعْرِيّةِ (واصل ، 2011، ص.17).

والمُتعَاليَاتُ النّصّيّةُ مِن وِجْهَةِ نظَرِهِ هي التي تضْبطُ إيقاعَاتِ العَلَاقاتِ النّصّيّةِ التي يتَوفّرُ عَليهَا نصٌ ما، وَقَدْ حدّدَها عَلَى التّوالِي بِخَمسَةِ أنماطٍ، وَضَعَ لكلّ نمطٍ منها مفهومًا، وآلياتٍ تتعلّقُ بهِ، وهَذِهِ الأنماطُ هيَ، عَلَى التّوالِي:

1- **التّنَاصُّ:** ويعرّفهُ جينيت بالتّعريفِ ذَاتهِ الذي وَضَعتْهُ جُولِيا كِرستيفَا، وَهُو الوجُودُ الفِعليُ لنَصّ في نصّ آخَرَ، عبرَ الا ِقتِبَاس، أو الإحَالَةِ، أو السّرقةِ (جينيت، 1999، ص.125، 126)، ويَرَى أنّ الا ِقتِبَاسَ كلِّيٌ وبارِزٌ، وأكدَ أنّ الإحَالَةَ تحْتَاجُ إلَى شَيءٍ مِنْ إعمالِ الذّهْنِ من أجلِ اكتِشَافِ النّصّ أو النّصُوص التي يتقاطعُ مَعَهَا النّصُ (عذاوري، 2012، ص.78، 79)، أمّا السّرقةُ فَهِيَ مِن وِجْهَةِ نظَرِهِ تتَعَلّقُ بمُسْتَوًى أخلَاقِيّ؛ إذْ يَسْطُو نصٌ عَلَى نصّ آخَرَ كلِّيًا وحَرفيًا دُونَ إشارةٍ أو توضِيحٍ أو ذِكرٍ للنِّسْبةِ التي تجمعُ النّصّيْن، فهُوَ يتَعلّقُ بالسّطْو والأ َخْذِ (عذاوري، 2012؛ 78، واصل، 2011، ص.17، 18).

2- **المَنَاصُّ:** ويتعلّقُ الأمرُ هُنَا بالعتباتِ النّصّيّةِ التي تُحِيطِ بالنّصّ، وتجعلُ منهُ نصًا (عذاوري، 2012، ص.79)، وَقَدْ حَدّدَها جينيت بالعَتَبَاتِ المُحيطَةِ والعَتَبَاتِ القَوقِيّةِ (حمداوي، 1997، ص.102، 103).

3- **الميتَانصّ:** وَهُوَ النّمَط الثّالِث؛ وَهُوَ ما عُرفَ بالشّرْح (جينيت، 1998، ص.128)، وَهُوَ خِطَابٌ

نصٍّ عَلَى نَصٍّ، ويُسَمّى التّعلِيقَ الذي يَربِطُ نصًّا بِنَصٍّ آخَرَ، يتَكلّمُ عنهُ دونَ أنْ يستشهدَ بهِ، ورُبّمَا دونَ أن يُسمّيَهُ، وَهُوَ العَلَاقَةُ النّقديّةُ بامتيازٍ (السماوي، 2002، ص.47).

4- **الجامعُ النّصّيّ:** يَتعلّقُ بالعَلَاقةِ التي ترتبطُ بالمُؤشّرِ النّوعيّ لِلنّصّ، وتُعرَفُ بكونها عَلَاقةً بَكماءَ؛ لأنّها عَلَاقةٌ؛ كمَا يَرَى چينيت، تتَعلّقُ بالقارِئِ أكثرَ مِنَ المُؤلِفِ والنّصّ ذَاتِهِ؛ إذْ هُوَ الذي يَستَطِيعُ أنْ يُحدّدَ إلَى أيّ حقلٍ أدبيّ يَنتمِي وأسبابِ هَذَا الانتِماء(عذاوري، 2012، ص.79، 80).

5- **التّعلّقُ النّصّيُّ:** وَهُوَ النّوعُ الشّموليُّ الذي يجمعُ العَلاقاتِ الأُخرَى تحتَهُ بشَكلٍ كبيرٍ، ويتَعلّقُ الأَمْرُ هُنَا، بالارتباطِ الكلّيّ لنصٍّ بنصٍّ آخرَ بشَكلٍ كلّيٍّ ومُعلَنٍ، يعمدُ إلَى الإنقاصِ منهُ أو توسيعِهِ (السماوي، 2002، ص.48)، كارتباطِ نصٍّ وَاسِينِي الأَعرَج:" كِتَاب الأَمِير: مَسالِكُ أبوَابِ الحَدِيدِ بسيرَةِ الأميرِ عبدِ القادرِ، وكتابِ الأَمِيرِ لميكافِيلّي، أوِ ارْتباطِ روايةِ العلّامةِ ابنْ سَالِمٍ حمّيش بابنِ خلدُون ومُقدّمته، فهُو نصٌّ يتعَلّقُ كلّيًا بذَلِكَ النّصّ عَلَى المُستَوَى العَمِيقِ عَلَى الأَقلّ[1]، ويَضَعُ چينيت لهَذَا النّوعِ جُملَةً منَ الآليّاتِ؛ منها التّحويلُ الكمّيُّ، ويَندرِجُ ضِمنَهُ التّمطِيطُ والتّقليصُ، والتّحويلُ الصّيغيُّ، ناهيكَ عن المُحَاكاةِ السّاخِرةِ، والتّحريفِ الهَزلِيّ والمُعَارضَةِ (السماوي، 2002، ص.48-51)، وهِيَ آليّاتٌ تمنَحُ التّنَاصّ حركيّةً وفاعليّةً واتّساعًا.

وإذَا كانَ بَينَ هَذين العلمَين (كِرستيڤا وچينيت) عَشرَاتُ الأَعلَامِ منَ الذِينَ تنَاولُوا التّنَاصّ عَرَبيًا وعَالمِيًا، كمَا أشَارتْ إلَى ذَلِكَ تيڤين ساميول (Tevin Samiol) في: "التّنَاصّ ذَاكِرةُ الأَدَبِ" (ساميول، 2007، ص.8-21)، وناتالي بييقي چُروس (Natalie Beyki Gross) في "مدْخلٍ إلَى التّنَاصّ" (غروس، 2012، ص.14-27)، فإنّ الرّيادةَ المَنْهَجيّةَ تُعْزَى إلَى چينيت، الذي هيكلَ التّنَاصّ، ووَضَعَ لهُ جُمْلَةً مِنَ الأدَواتِ الإجرائيّةِ، في حين تبقى الرّيادَةُ التّاريخيّةُ لصِيقةً بكرستيڤا ومَنْ تلَاها.

لَقدْ قاربَ فِكرَةَ التّنَاصّ إنْچِينو مارك (Ingino Mark) (مارك، 1998، ص.55) ليون سمڤيل (Leon Semville) (سمفيل، 1998، ص.91) وريڤاتير (Rivater) (غروس، 2012، ص.20)، وبارت (Bart) (نفسه، 2012، ص.24)، وغيرُهُم، وظَلّ التّنَاصُ لدَيهم جميعًا مُجرّدَ نظريّةٍ قَضفاضَةٍ (واصل، 2011، ص.16)، حتّى أنّ تعريفاتِ كلٍّ منهُم لَمْ تكُنْ شُموليّةً، وإنْ تماثلَتْ في مُعْظمِ ما تطرّقتْ إليهِ، لكنّها كانتْ تفتقدُ إلَى الآليّةِ الإجرائيّةِ التي تنتقِلُ بفِكرَةِ التّنَاصّ من قَضائِها النّظريّ إلَى مجالِ التّطبيقِ والمُمارسةِ والمُقارَبَةِ.

1-التّنَاصُ الدّينِيُ:

يُعرفهُ أحمد الزّعبيُ بأنّهُ "تداخلُ نصُوصٍ دينيّةٍ مُختارةٍ؛ عَن طرِيقِ الاقتِبَاس، أو التّضمينِ من القُرْآنِ الكريمِ، أوِ الحَديثِ الشّريفِ، أوِ الخُطَبِ، أوِ الأَخبارِ الدّينِيّةِ... معَ النّصّ الأَصليّ...بحَيثُ تنسَجمُ هَذِهِ النّصُوصُ مَعَ السّيَاقِ...، وتؤَدّي غَرَضًا فِكريًا أو فنّيًا أو كِليهما مَعًا" (الزعبي، 2000، ص.37).

وَقَدْ زَخَرَ دِيوَانُ "مَا لَا يَجِيء" بنصُوصٍ دِينيّةٍ كثيرةٍ، لاسيّما القُرْآنيّةُ منها، حتّى تكادَ تُغطّي أكثرَ مِن نِصفِ التّنَاصّاتِ الوَاردَةِ في الدّيوَانِ كلِّهِ، ويعود ذَلِكَ إلَى التنشئة الدّينِيّة التي أثّرتْ في الشّاعِرِ، إذ إنّهُ ولدَ وعاشَ في بيئةٍ دينيّةٍ، هَذَا من جهَةٍ، ولأنّ "القُرْآن الكريم بألفَاظِهِ المتألِقةِ ومَعانيهِ الخالِدَةِ، وقِصصهِ المُوحيةِ يُعدُ أكثرَ المَصَادِرِ توظيفًا، وأوسعَها تأثيرًا في الشّعْرِ العَرَبِيّ،

([1]) كانت هذه الرواية وهذه الفِكرَة هي موضوع كتاب سليمة عذاوري «شعرية التناص في الرواية العربية».

ولعلّ هَذَا التّأثيرَ والثّراءَ والتّجدُّدَ الذي يميّزُ القرْآنَ الكريمَ هُوَ السّببُ في الإقبالِ عليهِ وتوظيفهِ من قِبَلِ الشّعْراءِ في مُخْتَلفِ العُصورِ" (قيبوج، د.ت، ص.148).

وَقَدْ تنوّعَت صُورُ التّنَاصّ القرْآنيّ لدَى الشّاعِرِ ما بينَ استعارةِ بعضِ المُفرداتِ والتّراكيبِ، واستِيحاءِ لمَضْمونِ بعضِ الآياتِ القرْآنيّةِ أو مَدلُولِها، أو اِسْتِدْعَاءِ بعضِ القصصِ التي وردتْ في القرْآنِ الكريمِ، فامتزجَتْ ببنيَةِ النّصّ الشّعْريّ الدّاخليّةِ، فأغنَتِ القصيدَةَ دَلاليًّا، من خِلَالِ الا ِنْفِتَاحِ عَلَى العَالمِ العُلويّ؛ فَأثمَرَ هَذَا التّداخلُ وأسّسَ لرُؤيا عميقةٍ ومُكثّفةً ذاتَ دَلَالَاتٍ إيحائيّةٍ كبيرَةٍ (الشّمّريّ، 1439، ص.249، 250).

وَمِنَ التّنَاصّ القرْآنيّ في الدّيوَانِ قولُ الشّاعِرِ في القصِيدَةِ التي عُنْوَانُها "وادي الكلَامِ" (السّبْهَان، 2018، ص.10):

"عَنْ شَيبَةٍ فِي الرّأسِ.. حدّثَ وَالدِي
أنّ الحِكايَةَ
غَيرُ مَا يَترَاءَى".

تتَحَدّثُ هَذِهِ المَقْطُوعَةُ منَ القصِيدَةِ عنْ والدِ الشّاعِرِ الذي يَحكِي لأ َبنائِهِ؛ والشّاعِرُ وَاحِدٌ منهُم، عَلَى ما يَبْدُو، عَنْ أنّ الأ ُمورَ ليستْ كما تبدُو لأوّلِ وَهْلَةٍ، وأنّ الأسماءَ لا تدلُّ عَلَى مُسَمّيَاتِهَا بالضّرُورَةِ، فقدْ تكونُ بِعَكسِها تمَامًا؛ ولهَذَا فقدْ قالَ مُؤكِدًا ذَلِكَ: "إنّ الحَقيقةَ غَيرُ مَا يتَرَاءَى"، أيْ إنّها خِلافُ ما تظنُّون؛ نظرًا إلى قِلّةِ خِبرتِكمْ في الحَيَاةِ، وضَحالةِ رُؤيتِكم، وقِصَرِ نظَرِكم إلى الأ َشْيَاءِ مِنْ حولِكم، مُقارَنَةً بالخِبرةِ الطّويلةِ التي يتمتّعُ بها الأ َبُ، النّاتِجَةِ عنْ طُولِ العُمرِ، وتجريبِ الأ ُمُورِ.

وفي قولِ الشّاعِرِ: "عَنْ شَيبةٍ في الرّأسِ تناصٌ قرْآنيٌ " يُحيلُنا إلى قولهِ تعَالَى عَلَى لسانِ زكريا : قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (مريم: 4)، وَهُو تنَاصٌ إحاليٌ، تعمّدَ فيهِ الشّاعِرُ تغييبَ النّصّ القرْآنيّ الكامِلِ، مُستبقيًا ما يدلُّ عَلَيهِ، عَبرَ كلِمَةٍ أو جُملَةٍ وَرَدَتْ فِيهِ، ويَسْتَعْمِلُها في إطارٍ جديدٍ، يتَفاعَلُ معَ سَابقِهِ بطرائِقَ مُخْتَلِقةٍ (حسن، 1999، ص.92). فقدْ قدّمَ وأخّرَ وغيّرَ في بنيةِ الجُملةِ، وشَكلِها، ومَدلُولِها.

فإذَا كانَ شَيبُ الرّأسِ، عَادَةً، يدلُّ عَلَى كِبَرِ سِنّ الإنسَانِ وهرَمِهِ، فإنّ دَلالتَهُ في النّصّيْن: القرْآنِ الكريمِ، وقصِيدَةِ الشّاعِرِ مُخْتَلِقَةٌ ومُتباينَةٌ، ذَلِكَ أنّ الشّيبَ في الآيةِ الكريمةِ دالٌ، بالإضَافَةِ إلى كِبَرِ السّنّ، عَلَى عَدمِ قُدْرَةِ زكريا عَلَى إنجابِ الوَلَدِ: نظرًا إلى ضَعفِ قوّتِه، وبُلُوغِهِ سِنّ الشّيخوخَةِ، التي يَسْتَحيلُ مَعَها إنجابُ الأ َولادِ، يُؤكِدَ ذَلِكَ قولهُ: "وامرَأتِي عَاقِرٌ", ودُعاؤُه للهِ بأنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا يَرِثُهُ. ففِي قولِ زَكَرِيا: "(وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) غايةُ الخُضُوعِ و التّذَلّلِ، وإظهارُ الضّعفِ، والقصورِ عَن نيلِ مَطالبِهِ، وبلُوغِ مَآربِهِ" (الشوكاني، 1414ه، ص.279/3).

وأمّا الشّيبُ في القصِيدَةِ فَيدُلُّ عَلَى الخِبرةِ المُتراكِمَةِ، التي يتَمتّعُ بهَا والدُ الشّاعِرِ، النّاتجةِ عنْ طُولِ المِرَاسِ وتجريبِ الأ ُمُورِ، واختبارِ الأ َشْيَاءِ في مُعتركِ حياتهِ الطّويلةِ التي كنّى عَنْها الشّاعِرُ بِشَيبٍ في الرّأسِ، فالشّيبُ لا يَأتِي، عَادةً، إلّا بعدَ بلُوغِ الإنسَانِ سِنّ النّضْجِ التي يَسْتَطِيعُ مَعَها مَعْرِفَةَ كُنهِ الأ َشْيَاءِ وحَقيقتِها، وسَبْرِ أغْوارِها بما يَمتَلكُهُ مِن ذخيرةٍ مَعْرِفِيّةٍ تراكمتْ طوالَ حيَاتِهِ.

فالشّاعِرُ، هُنَا، أخَذَ أَلفَاظَ الآيةِ الكريمةِ، وأعادَ تشكيلَ بنائِهَا عَنْ طَرِيقِ الاستِعانةِ بدَوالّ، تحيلُ إلى ذَلِكَ النّصّ، مُنطلقًا مِن تِلكَ الدّوالّ عَنْ طَرِيقِ الامتِصاص؛ لتَشكيلِ أبعادٍ جَديدَةٍ خَاضِعَةٍ لرُؤيتِهِ الذّاتِيّة؛ مِمّا يَجعلُ النّصّ القرْآنيّ مُنْسَجِمًا معَ نَصّهِ ومُلتَحِمًا فيهِ (قيبوج، د.ت، ص.164).

ومِنَ التّنَاصّ القُرْآنيّ في الدّيوَان قولُ الشّاعِرِ في قصيدتِهِ التي عُنْوَانُها: "أَعْوَاد الصّبر" (السّبْهَان، 2018، ص.85):

"وَصَنَعْتُ مِنْ أَعْوَادِ صَبرِي.. مَرْكَبًا
يَا لِلمَرَاكِبِ..
حِينَ تَخذلُ ثَوْحَهَا
مَوْجٌ مِنَ التّحنَانِ أَغْرَقَ خَافِقًا
لَمْ تُبْقِ فيهِ بَقِيّةً
لِيَبُوحَهَا"

يُحِيلُ الشّاعِرُ، في هَذَا المَقطعِ مِنَ القصِيدَةِ، إلى قِصّةِ نوحٍ ﷺ،وَصِناعتِهِ السّفينَةَ التي حَملَ فيها مَن آمنَ بِهِ, وَكُلّ الدّوابِّ التي كانتْ مَوجُودةً عِندهُ، فأنجاهُ اللّه ومَن مَعَهُ مِنَ الطُوفَان، وأغرقَ مَن كفرَ بِهِ، قالَ تعَالى: «فَكَذّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الّذِينَ كَذّبُوا بِآيَاتِنَا إِنّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ» (الأعراف:64)، وقال تعالى: «فَكَذّبُوهُ فَنَجّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الّذِينَ كَذّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» (يونس: 73)، وقال تعالى: «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا» (هود:37), وقال تعالى «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ» (هود :38). (هود: 38).

يَصنعُ نوحٌ ﷺسَفينَتَهُ التي ستَحْملهُ ومَنْ مَعَهُ منَ الأخشَابِ بصَبرٍ وجَلَدٍ وتحمُّلٍ للأ َذَى و السُخْرِيَةِ اللّذين وَاجَهَهُ بهمَا قومُهُ، لكِنّهُ في الأ َخيرِ اِستَطَاعَ صِنَاعتَهَا، وشاعَرُنا هُنَا قدْ حَذَا حَذْوَ نوحٍ في ذَلِكَ، فهو يصنعُ مركبَهُ المعنويّ من عِيدانِ صَبْرِهِ؛ لينقذَهُ مِن أمواجِ التّحنانِ المُتَلَاطِمَةِ، فهو يُحِيلُ في السّطْرين الثّاني والثّالِثِ بكلمتين؛ هُما: (المَرَاكِب، ثوحُها) مُسْتَحْضِرًا قصّةَ نبيّ اللّه ِ ثوحٍ وَصُنعِهِ للسّفينةِ دُونَ أنْ يذكرَها، وهَذَا الإضمارُ الشّعْرِيُّ لِلنّصّ القُرْآنِيّ (قصّة ثوح) العَائِب يُحفّزُ عَلَى اِستِحْضَارِ تِلْكَ القِصّةِ لدَى القَارِئِ مُتيحًا لهُ الخُرُوجَ من قيدِ التّحْديدِ إلى فضَاءِ التّأويلِ (حسن، 1999، ص.93) الذي يستندُ إلى ذاكرةٍ دينيّةٍ خلّدَتْ قصّةَ ثَوْحٍ والطُوفَان.

إنّ التّنَاصّ، هُنَا، قدْ تحققَ فِيهِ الا ِنْحِرَافُ عَنِ السّيَاقِ القُرْآنيّ في المُسْتوَيين: التّركيبيّ، و الدّلَاليّ، فأمّا الا ِنْحِرَافُ فِي المُسْتَوَى التّركيبيّ فَيتجَلّى في العُدُولِ عَنِ الفعلين: (الأ َمْرِ و المُضَارِعِ)الوَارِدَين فِي النّصّ القُرْآنيّ إلى الفِعْلِ المَاضِي (صَنَعَتْ)، وكذا استِعمَال الشّاعِرِ ل-(يا) النّدبَة في قولِهِ: يَا للمَرَاكِبِ، والنّدْبَةُ أُسْلُوبٌ إنشائِيٌ، في حين أنّ قصّةَ ثوحٍ أُسْلُوبٌ خبريٌ، وشتّانَ ما بَينَ الأ ُسْلُوبين.

وأمّا الا ِنْحِرَافُ في المُسْتَوَى الدّلَالِيّ فَيَتّضِحُ منْ حَيثُ التّضَادُ الدّلَالِيُ بينَ النّصّ القُرْآنيّ والنّصّ الشّعْرِيّ؛ لأ َنّ المُبْدِعَ من حَيثُ المُسْتَوَى الدّلَالِيُ سيتّخذُ أحَدَ سَبيلين: الأ َوّلُ: التّمَاثُلُ الرُؤيويُ بينَ النّصّيْن؛ النّصُ المُستدعَى العَائِبُ, والنّصّ الشّعْرِيّ الحَاضِرُ، والثّانِي: التّضَادُ الرُؤيويُ بينهما (الخطيب، 2005، ص.117). وهَذَا الأ َخيرُ هوَ ما سلكهُ الشّاعِرُ، حينَ أصبَحَ الغَرقُ مَآلَهُ وَخَاتِمَةَ أَمْرِهِ, بَعدَ أنْ خذلتْهُ المَرَاكِبُ التي صَنَعَها مِن أعوَادِ صَبرِهِ، مُضَادًا بذَلِكَ خَاتِمَةَ قصّةِ ثوحٍ ﷺ التي نجَا فيها وأصحَابهُ مِنَ الغَرَقِ في الطُوفَانِ الهَائِجِ بِالأ َمواجِ المُتَلَاطِمَةِ؛ لأ َنّ سَفينَتهُ لمْ تخذلهُ ولمْ يَتَصدّعْ بِناؤُها، ولمْ تنْكسِرْ عِيدَانُها أمَامَ التّيّارَاتِ الجَارِفَةِ وَالرّيَاحِ العَاتِيةِ التي أحاطَتْ بِهَا.

ومِنْ ثمّ، يَبْدُو التّضَادُ وَاضِحًا بَينَ المَعْنَى الأ َصليّ والمَعْنَى الجَدِيدِ الذي أَرَادَهُ الشّاعِرُ مِنَ القِصّةِ القُرْآنيّة، وهُنَا تظهَرُ مَقْدِرَةُ الشّاعِرِ عَلَى حَرْفِ مَسارِ المَعْنَى الدّينِيّ للقصّةِ نحوَ وِجهَتِهِ بأُسْلُوبٍ فنّيّ خَلّاق، في سِيَاقٍ لُغَويّ جَدِيدٍ، ودَلَالَةٍ جَدِيدَةٍ تُشيرُ إلى حَسرتِهِ وندامتِهِ عَلَى النّهَايَةِ

التّراجِيديّةِ التي خَتَمَ بِهَا جُزْءًا مِن حَيَاتِهِ.

وفِي قَصِيدَةِ "تعَب" يَخْتَتِمُ الشّاعِرُ نصّهُ بِمَا يُحِيلُ إِلَى قِصّةٍ وَرَدَتْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، فيَقُولُ:

"ورَبِّ الشِّعْرِ والشُّعَراء... لَو عَرفُوكَ مَا كتَبُوا
لِغَيرِ عُيونِكَ الأَشعَارَ؛ فَهِيَ الدّوْقُ والأَدَبُ
مَدَائِنُ
عَلّمَتْ هَارُوتَ
سِحْرًا أَصْلُهُ العَرَبُ" (السّبْهَان، 20018، ص.46).

فَفِي قول الشّاعِرِ: "علّمَتْ هَارُوتَ سِحْرًا" تنَاصٌ، يُحِيلُ إِلَى قِصّةِ هَارُوتَ ومارُوتَ الوارِدةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي قولِهِ تعَالَى: «وَمَا كفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنّ الشّيَاطِينَ كفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ» (البقرة: 102) وهِيَ قصّةٌ ورَدَتْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، تتَحَدّثُ عَنِ السِّحرِ والسّحَرَةِ، لاسِيّما هارُوتُ ومَارُوتُ، فقَدْ نصّ القُرْآنُ عَلَيهِما دُونَ أَتبَاعِهِما؛ لأَنّهُما يُمَثِّلَانِ الرّأسَ فِي تعلِيمِ السِّحْرِ (القرطبي، 1964، ص.51/2)، وأَنّ مَن أَتى مِنْ بَعدِهما مِنَ السّحَرَةِ؛ فَهُو تِلمِيذٌ لَهُمَا.

إِنّ هَذَا التعَالُقَ مَعَ النّصّ القُرْآنِيّ جَاءَ عَلَى هَيئَةِ تضمِينٍ لِلنّصّ فِي السّيَاقِ الذي وَرَدَ فيهِ، دُونَ بَتْرٍ للانسِيابِ الشّعُورِيّ المُتدَفّقِ (الخضور، 2007، ص.56) مِنَ القِصّةِ الحَقِيقِيّة، وفِي ضَوْءِ ما يُمَثّلهُ (هارُوتُ ومارُوتُ) وَبَلدتُهما (بَابِلُ) مِن رَمزيّةٍ دِينيّةٍ وأُسطُورِيّةٍ، ذَاتُ العَلَاقةِ الفارِقةِ فِي عِلمِ السِّحْرِ، التِي ما تزالُ مَخزونةً فِي الذّاكِرَةِ الجَمعيّةِ للأُمّةِ، تجِدُ أَنّ السّبْهَانَ قدِ انطلَقَ فِي تناصّهِ مِنْ مَبدَأِ أَنّ التّنَاصّ لا يَعنِي إِعَادَةَ إِنتَاجِ المَادّةِ المُقتبسَةِ بِصُورتِها الأُولَى، وإِنّمَا يَكُونُ بِتَحْوِيلِها وَنَقلِها وَتبدِيلِها، أَيْ إِنّ الإِضَافَةَ والتّعْدِيلَ شَرْطَانِ أَسَاسَانِ لِلتّنَاصّ (مستاري وبن بوزيان، 2019، ص.391).

وَلِهَذَا فَإِنّهُ، هُنَا، قدْ حَوّلَ مَفهُومَ السِّحْرِ، بوَصْفِهِ عِلمًا، تلقاهُ النّاسُ عَنْ هَارُوتَ ومَارُوتَ؛ كما وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ إِلَى عِلمٍ، أَنتجَتْهُ عُيُونُ مَحْبُوبتِهِ بِجَمَالِها الفتّان، وأَهْدتْ هَذَا العِلمَ إِلَى هَارُوتَ الذي يُعدُّ معلِمَ السِّحْرِ الأَوّل؛ كمَا مَرّ بنَا؛ فَصَارتْ عُيونُ مَحبوبتِهِ مُعلِمًا للسِّحْرِ، وهَارُوتُ مُتَعلِمًا بَعدَ أَنْ كانَ رَأسًا فِيهِ؛ ليَفْتَحَ بذَلِكَ للقارِئِ أُفقًا رَحْبًا منَ الخَيَالِ اللّامحدُودِ لذَلِكَ الجَمَالِ، ومَجَالًا وَاسِعًا لتَصوُّرِ ذَلِكَ السِّحْرِ الذي تنفثُهُ تِلكَ العُيُونُ فِي قَلْبِ كلّ مَنْ شَاهَدَهَا.

وبهَذِهِ المُخَالقةِ عَلَى المُسْتَوَى الدّالِيّ فَإِنّ الشّاعِرَ قدِ اِستدْعَى نصًّا غَائِبًا وعَمِلَ عَلَى إِعادَةِ تشكِيلِهِ وبَلوَرتِهِ بِمَا يتوَاءَمُ مَعَ فَلسَفتِهِ الشّعْرِيّةِ تُجَاهَ المَرْأَةِ/ مَحبُوبتِهِ؛ ليَبنِيَ لنَفسِهِ أُسُسًا جَدِيدَةً، تُميّزُهُ عنْ غَيرِهِ، وتكُونُ فِي نِهايَةِ المَطَافِ مَنسُوبةً إِليهِ (مستاري وبن بوزيان، 2019، ص.391).

إِنّ النّصُوصَ القُرْآنيّةَ التِي حَقَلَ بِهَا دِيوَانُ "مَا لَا يَجِيء" قدْ تدَاخَلَتْ مَعَ النّصُوصِ الشّعْرِيّةِ الوارِدَةِ فِيهِ، واندَمَجتْ مَعَ سِياقَاتِها المُخْتَلِقةِ؛ مُكوِّنَةً صُوَرًا جَماليّةً عَمِلَتْ عَلَى إِثراءِ الفِكْرَةِ التِي أَرادَها الشّاعِرُ، وعمّقتِ الرّؤْيَةَ للأَحدَاثِ الوارِدةِ فِيهِ، وأَسهَمَتْ بشكلٍ كبيرٍ فِي تشكِيلِ البِنَاءِ الفنّيّ لتِلكَ النّصُوصِ شَكلًا ومَضْمُونًا (الزعبي، 2000، ص.37).

2-التّنَاصُّ الأَدَبِيُّ:

يُمْكِنُ تعرِيفُهُ بأَنّهُ تداخُلُ نُصُوصٍ أَدَبِيّةٍ مُخْتَارَةٍ، قَدِيمَةٍ وحَدِيثةٍ، سَوَاءٌ أَكانَتْ نثرًا أَم شعرًا، معَ النّصّ الحالِي، بِحَيثُ تكُونُ مُنسَجِمَةً وموظّفَةً، ودالّةً قدْرَ الإِمكانِ عَلَى الفِكْرَةِ التِي يَطرَحُها

الشّاعِرُ، أو الحَالةِ التي يُجسّدُها ويقدّمُها في شِعْرِهِ (الزعبي، 2000، ص.50).

وَقَدْ جَاءَتِ التّنَاصّاتُ الشّعْرِيّةُ في الدّيوَانِ في المَرتبَةِ الثّانِيَةِ بَعدَ التّنَاصّاتِ القُرْآنيّةِ مِن حَيثُ عَدَدُ مرّاتِ الوُرُود، ويُعْزَى ذَلِكَ إلَى أنّ التُرَاثَ الشّعْرِيّ العَرَبِيّ يَظَلُ مَورِدًا عَذْبًا، يَنْهَلُ منهُ الشُعَراءُ، ودَوحةً باسقةً، يَلجَأُونَ إلَى ثِمَارِهَا ليَتَزَوّدُوا بِهَا، وَمَخْزُونًا لا يَنْفَدُ مِنَ التّجَارِبِ والخِبرَاتِ المُتراكِمَةِ طُوَالَ قُرُونٍ مِنَ الزّمن، أودَعَها أصحابُهَا دَوَاوينَ أشعارِهِم، ومَا دَامَتِ الأَحْدَاثُ تتَشَابَهُ، وتتَكَرّرُ فإنّ شَاعرَ اليَومِ في أمسّ الحاجَةِ إلَى اِستِدْعَاءِ التُرَاثِ الشّعْرِيّ القَدِيمِ واستلهامِهِ؛ ليخرجَ بتَجْرِبَةٍ شِعْرِيّةٍ جَدِيدَةٍ، تجمعُ بينَ أصالةِ المَاضِي وَطُمُوحِ الحَاضِرِ، الذي يُجسّدهُ الشّاعِرُ.

إنّ التُرَاثَ الأَدبِيّ العَرَبِيّ قدِ استعْمِلَ في الشّعْرِ الحَديثِ، وَفْقَ رُؤًى وأفْكارٍ جَديدَةٍ، تعتمِدُ عَلَى إعادَةِ الأَفْكارِ والمَضَامينِ المُستَخرجَةِ وَبَلورتِها، بِحَيثُ تُشَكِلُ مُعادِلًا مَوضُوعِيًّا، يُوَازِي في أبعادِهِ المُعَاناة الآنِيّةَ لِلشّاعِرِ؛ ليكُونَ الاشتِراكُ في القضِيّةِ هُوَ المُشْتَرَك بَينَ الطّرفين، فَالمُعَاناة هِيَ المُعَاناة مَهْمَا اختلفَ الزّمانُ والمَكانُ (الخضور، 2007، ص.72). وهوَ الأمْرُ الذي يتَجلَى بوضُوحٍ في شِعرِ السّبْهَان.

ويُمْكِنُ تقسيمُ التّنَاصّ الأَدبِيّ في الدّيوَانِ قِسْمين؛ هُما:

أ- التّنَاصُ مَعَ الشّعْرِ العَرَبِيّ القَدِيم.

ب- **التّنَاصُ مَعَ الأَمْثَالِ العَرَبِيّة.**

أ-**التّنَاصُ مَعَ الشّعْرِ**: يُطَالِعُنَا السّبْهَانُ في دِيوَانِهِ بقسيفِساءٍ منَ التّنَاصّاتِ الشّعْرِيّةِ منَ الشّعْرِ القَدِيم؛ مِمّا يَعْكسُ تنوّعَ مَصَادِرِهِ الأَدَبِيّةِ التي يُحِيلُ إليها، ومن ذَلِكَ قولهُ في قصيدتِهِ التي عُنْوَانُها "أوّل القهْوة":

"خُذْهَا فَمًا لِفَم..

وَلَا تخْجَلْ إذَا قَالَ المُسَامِرُ قَدْ سَكِرْتَ..

فَإنّ قهْوَةَ قَوْمِنَا:

"سُكرٌ شَرِيفٌ"!" (السّبْهَان، 2018، ص.36).

إنّ هَذِهِ المَقطُوعَةَ مِنَ القصِيدَةِ تُحِيلُنَا إلَى قَصِيدَةِ الشّاعِرِ العَبّاسِيّ أبي العَلاء المَعَرّيّ التي يَقولُ فيها وَاصِفًا الدّنيَا وطَالِبيهَا (المعري، 1991، ص.476):

تُنَازِعُ في الدُنْيا سِوَاكَ وَمَا لَهُ ... وَلَا لَكَ شَيءٌ بِالحَقيقةِ فِيهَا

وَلَمْ تحظَ في ذَاكَ النّزَاعِ بِطَائِلٍ ... مِنَ الأَمرِ إلّا أنْ تُعَدّ سَفِيهَا

فَأَطبِقْ فَمًا عَنْهَا وَكفًا وَمُقلَةً ... وَقُلْ لِغَوِيّ القومِ فَاكَ لَفيهَا

إنّ اِستِحْضَارَ الشّاعِرِ في بدَايَةِ مَقطُوعتِهِ لقصِيدَةِ المَعَرّيّ قد أدّى إلَى تماهِي النّصّيْن وتدَاخُلِهما بأسْلُوبٍ إيحائِيّ، يَجمَعُ بينَ رُؤيتَين تكادَان تنْطبقان؛ بَعضُهما عَلَى بَعضٍ، وإن اختَلَقتَا في المَدلُول. ففي قَولِ السّبْهَانِ لمُخاطبِهِ: "خُذْهَا فَمًا لِفَم" تناصّ تضمينِيّ يتَطَابقُ مَعَ حالةٍ راهنَةٍ يَعِيشُهَا الشّاعِرُ ويُرْفِدُ رُؤيتَهُ العَصْرِيّةَ للأَشْيَاء، فيُحِيلُ إلَى قول المَعَرّيّ: "وقل لغوي القوم: فاكَ لفِيها". فمنَ النّاحيَةِ التّرْكِيبِيّةِ تجدُ أنّ كلًا مِنْ "فمًا لِفَم"، و"فاك لفيها" وُجِّه لِمُخَاطَب؛ إلّا أنّ الأَولَى خلَتْ مِنَ الضّمِيرِ المُضَافِ إليهِ "الكاف الدّالّ عَلَى الخِطَاب"، في حين أن برَز في الثّانِيةِ، ولكن ذَلِكَ لا يُؤَثِرُ في تشابُهِهما، أمّا مِن حَيثُ الدّلَالةُ فإنّ الضّمِيرَ العائدَ في قولِ المَعَرّيّ: "لفيها" يُحِيلُ إلَى الدُنيا، في حين أنّهُ في قولِ السّبْهَان: "خُذهَا" يُحِيلُ إلَى كأسِ القهوةِ "الخَمْرة".

إنّ السّبْهَانَ، هُنَا، قدِ استَحضَرَ الصُورَةَ التي رَسَمهَا المَعَرّيُ لعَاشِقِ الدّنيَا الكلفِ بها حالَ تشبُثِهِ بِهَا، مِن حَيثُ إنّهُ مِن شِدّةِ حِرْصِهِ عَلَيهَا قدْ وَضَعَ فَمَهُ في فَمِهَا، وأسقطَ تِلكَ الصُورَةَ عَلَى

مُخاطبِهِ الذي مَا زالَ مُتَردّدًا خَجَلًا في مُعَاقرةِ الخَمْرِ، رَغمَ اشتهائِهِ لهَا. فهُوَ يَحُضُهُ عَلَى ذَلِكَ، ويَقُولُ: خُذْها فمًا لفَمٍ ولا تخْجَلْ..، سَاخِرًا بذَلِكَ منْ هَذَا المُخاطبِ، ومنْ قومِ الشّاعِرِ الذي يَرونَ أنّ السُكرَ بالخَمرَةِ سُكرٌ شَريفٌ!

وفي قَصيدَةِ "احترَاق" يَتَحدّثُ الشّاعِرُ عَنْ ثنائيّةِ "اللّوم، العَذْل/ العُذْر" في إطارِ الحُبِّ العُذريّ؛ ليَصِلَ بعدَ ذَلِكَ إلَى أنّ المَرءَ يَعْذلُ الآخرينَ عِنْدَمَا يَكُونُ في مَعزلٍ عمّا يُعانُونَ، فإذَا وَقعَ فيمَا وَقعُوا فيهِ، عَذَرهم؛ فقطْ ليعذرَ نفسَهُ، يَقُولُ:

"عَلَى حَبيبٍ تولّى
صَبْري عَليهِ: احترَاقُ
آمَنْتُ بالحُبِّ جُرْحًا
وكأسُهُ لا تُطَاقُ
كمْ لائِمٍ لأ ُتاسٍ
ذَاقَ الذي مِنهُ ذَاقُوا" (السّبْهَان، 2018، ص.58، 59).

إنّ سَطوةَ الحُبِّ التي تملّكتِ الشّاعِرَ، وجَعلتْهُ يتبرّمُ مِمّا هوَ فيهِ قَدِ اِستَدْعَتْ لَحظَةً شَبِيهةً بها في التُرَاثِ الشِّعْرِيِّ العَرَبِيِّ، وهَذَا التّشَابُهُ بينَ المَاضِي والحَاضِرِ يدفع الشّاعِرِ إلَى تضمينِ أبياتٍ شِعْريّةٍ لأ َبِي الطيّبِ المُتَنَبّي، مُسْقِطًا إيّاها عَلَى وَاقِعٍ يُعايشُهُ، وتختلِفُ أبياتَ المُتَنَبّي، نِسْبيًّا عنْ تضمينِ السّبْهَانِ لهَا عَلَى مُسْتَوَى اللّفظِ، لكنّ المَعْنَى واحدٌ (حسن، وعلي، 2016، ص.90)؛ إذ يَقُولُ المُتَنَبّي (المتنبي، 1986، ص.73- 75):

أَرَق عَـلَى أَرَقٍ وَمِثـلِي يَـأرَقُ ... وجَـوًى يَزِيـدُ وَعَـبرَة تَـترَقرَقُ

..... جَـ .....

ربتُ مِـنْ نَـارِ الهَـوَى مَـا تنطفِيء ... نَـارُ الغَضَـا وتكـلُ عَمّـا تحْـرِقُ

وعَـذَلت أُذْـلَ العِشْـقِ حَـتى ذُقْتُـه ... فعجِـبتُ كَـيفَ يَمُـوتُ مَـنْ لا يَعْشَقُ

وعَـذَرتُهم وعَـرَفْتُ ذَنْبـي أَنّنِـي ... عَـيّرتُهُم فَلَقِيـتُ مِنـهُ مَـا لَقُـوا

إنّ المُتَنَبّي هُنَا عاشِقٌ أضناهُ الشّوْقُ إلَى مَحبُوبتِهِ، ولكنّهُ لا يجِدُ سَبيلًا إليها، فهُو يتَحدّثُ عنْ نَفْسِهِ بأنّهُ كانَ يَعذلُ العُشّاقُ ويلومُهم عَلَى عِشْقِهم، وذَلِكَ قبلَ أنْ يُصَابَ بِمَا أُصِيبُوا بِهِ، وعِنْدَمَا ذَاقَ العِشْقَ وتجرّعَ كأسَ الشّوْقِ بدأ بمرَاجِعةِ نَفسِهِ، ونظْرتِهِ إلَى العِشْقِ والعُشّاقِ، فَانقلبَ عَذْلهُ لَهُم إلَى أعْذَارٍ لهُم، ولمْ يكتَفِ المُتَنَبّي بهَذَا الصّنِيعِ، ولكنّهُ زادَ عَلَى ذَلِكَ بأنْ تعَجّبَ ممّنْ لا يَعْشَقُ كيفَ يَمُوتُ! أيْ إنّهُ قدْ جَعلَ كلّ أسبابِ الموتِ مُتّصِلَةً بالعِشْقِ وَحدَهُ؛ ولهَذَا فإنّهُ يَعجبُ ممّن لا يعشقُ أتى يأتيهِ المَوتُ!

وبِهَذَا فإنّ المَلْفُوظَ القَديمَ يُعَبّرُ بِدلالَتِهِ الأ َصْلِيّةِ عَنِ الحَاضِرِ، فَيَسْتَعِيرُهُ الشّاعِرُ ليعبّرَ عَنْ حَالَةٍ رَاهنَةٍ تتَشَابَهُ مَعَ تِلْكَ التي عايَشَهَا المُتَنَبّي، وإنْ كانَ بينَهُما فَاصِلٌ زمنِيٌ كبيرٌ؛ لأنّ الإنسانَ بطَبيعتهِ لا يُؤمنُ بالأ َشْيَاء إلّا بعدَ تجريبِها وتطْبيقِها، وهَذَا ما ينطبِقُ عَلَى تجْرِبَةِ الشّاعِرَين، هُنَا، إلّا أنّ السّبْهَان قد اِعْتَمَدَ عَلَى الإ ِيجَازِ والتّكْثِيفِ في تناصّهِ؛ مِمّا جَعَلَ قَصيدَتَهُ تُعطِي إيحَاءً مُكثّفًا يُحِيلُ ذِهنَ القارئِ إلَى النّصِّ الأ َصلِيّ (الشّمّريّ، 1439، ص.241).

وعَلَى الرّغمِ مِنَ الا ِختِزَالِ والتّركيزِ في قَصيدَةِ السّبْهَانِ في قَولِهِ:

"كمْ لائِمٍ لأ ُتاسٍ
ذَاقَ الذي مِنهُ ذَاقُوا".

مُقارنةً بقَولِ المُتَنَبّي:

وَعَدَلتُ أَهلَ العِشقِ حَتّى ذُقتُهُ فَعَجِبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ
وَعَذَرتُهُم وَعَرَفتُ ذَنبِيَ أَنّني عَيّرتُهُم فَلَقيتُ فيهِ ما لَقُوا

فَإنّ ذَلِكَ يعدُ نوعًا من أنواع الإحَالة؛ لأنّ الإ ِيجَاز يعد نوعًا من أنواع الإحَالةِ المَحْضَةِ، وهي ذَلِكَ النّوعُ الذي يحتاجُ إلى شرُوحٍ وتوضِيحٍ حتّى يُدركهُ المُتَلَقّي العَادِيّ (مفتاح، 1992، ص.129).

"وواضِحٌ أنّ البيتَ بمَا يَكتنزُ من المعنَى الحِكميّ الإنسَانيّ العامّ شغَلَ المتنبّي بطبيعتهِ الفلسفيّةِ التي تجنحُ إلى خِطابِ النّفس الإ ِنسانيّةِ وتحليلِ أدَقّ طبَائعِها" (عبدالعال، 2018 ، ص.61).

إنّ تناصّ بيتَيّ المُتَنَبّي في سياقِ هَذِهِ القصِيدَةِ، يعملُ عَلى تعميقِ رُؤيَةِ الشّاعِرِ (الزعبي، 2000، ص.156) (السّبْهَان) إلى طبيعَةِ العَلاقةِ بين طرَفين؛ هُما: اللائمُ والملُومُ، ويَرَى الشّاعِرُ أنّها عَلاقةٌ يَتَجنّى فيها اللائمُ عَلى الآخرينَ، فإذَا ما وَقعَ في الذي وقعُوا فِيهِ، عَذَرَهُم في ذَلِكَ؛ لأسبابٍ كانَ لا يَعلمُها مِن قبلُ، حتّى جَرّبَها بنفسِهِ، وهوَ بهَذِهِ الرُّؤْيَةِ يتطابقُ حدّ التّمَاهي معَ رؤيةِ المُتَنَبّي إلى تِلكَ العَلاقة.

ب- **التّنَاصُ مَعَ الأ َمْثَال:**

لَمْ يَقتَصرِ الشّاعِرُ السّبْهَانُ في ديوَانهِ (مَا لَا يَجِيء) عَلى الشّعْرِ العَرَبِيّ للإحَالةِ إليهِ والتّنَاصّ معَهُ، ولكنّهُ استغلّ ثقافتَهُ للاشتغَالِ أيضًا عَلى الأ َمْثَالِ العَرَبِيّةِ بشِقيها: الفَصِيح، والعامّيّ، وتقصِدُ بالفَصِيحِ ما وَردَ في كُتُبِ الأ َمْثَالِ المُعتبَرَةِ كمَجمَعِ الأ َمْثَالِ للمَيْدَانِيّ، وجَمْهَرةِ الأ َمْثَالِ للعَسْكرِيّ، والمُستقصَى في أمْثَالِ العرَبِ للزّمخشَرِيّ، وغيرِها، وتقصِدُ بالعامّيّ مَا لَمْ يَرِدْ في تِلكَ الكتُبِ، وإنّما وَردَ في كُتُبِ الأ َمْثَالِ المُتأخّرةِ زَمَنيًا.

لَقدْ عَمَدَ الشُعَرَاءُ، قديمًا وحَديثًا، والكُتّابُ والأ ُدَبَاءُ بِمُختَلَفِ مستوياتهم وتوجهاتهم إلى ا لأ َمْثَالِ، وَاقتِبَاسها وتضْمينِها في إنتاجَاتِهم الإ ِبْدَاعِيّةِ أوْ عَن طَرِيقِ الإحَالةِ أو الإ ِيحاء، بما يتناسبُ معَ رُؤيةِ الشّاعِرِ أو الأ َدِيبِ، وبما يَخدمُ الفِكرَةَ المُرادَ طرحُها ومناقشَتُها؛ ذَلِكَ "أنّ الأ َمْثَالَ تمتلِكُ قدْرَةً تعْبِيريّةً فائقةً في التّعْبِيرِ عَنهَا، وللأ َمْثَالِ تأثيرٌ كبيرٌ في حيَاةِ النّاسِ بمَضَامينِها الفِكريّةِ والنّفسِيّةِ، ويَلجَأُ كثيرُونَ إليهَا بَحثًا عن التّعْزِيَةِ جرّاءَ مَصَاعِبِ الحَيَاةِ، ويَتَعَامَلُ آخرُونَ مَعَهَا بوَصفِها وسيلةً من وسائلِ التّعْبِيرِ غيرِ المُبَاشِرِ، فيُطلِقُونها حَامِلَةً رَسَائِلَ مُعَيّنَةً، تمتدُ من مَرامِي النّصِيّحَةِ إلى غَاياتٍ نقديّةٍ" (الخضور، 2007، ص.40)، لا يَستَطِيعُ غيرُ المَثَلِ الوصولَ إليها؛ نظرًا إلى قُدْرَتهِ عَلى تكثيفِ المَعْنَى والتّأثيرِ في المُتَلَقّي، وَقُدْرَتهِ عَلى القيامِ بِدَورٍ تواصليّ، يُشِيرُ إلى التّجذّرِ الثقافيّ المُشْتَرَك، فالأ َمْثَالُ فعلٌ مُشْتَرَكٌ، يخضَعُ لِلتّحْلِيلِ التّجْرِيبِيّ, وَلِلتّعَالِي القَلسَفِيّ السّيمْيُولوجِيّ الذي يَرْقَى ويَرقَى مِن جِيلٍ إلى جِيلٍ (حسني، 1999، ص.284، 285).

ومنَ الأ َسبَابِ التي جَعلَتِ الأ َمْثَالَ وَسيلةً ناجعةً تخدمُ الشّاعِرَ المعاصِرَ (الخضور، 2007، ص.40):

-أنّها مكثّفةٌ وبسيطةُ التّركيبِ؛ مِمّا يجعلُ الخاصّةَ والعَامّةَ يفهمُونها بيُسرٍ وسُهولةٍ، ويَستَطِيعونَ ترديدَها وتمثّلُ دَلالتَها.

- أنّها أحيانًا تعبّرُ عَن مَعانٍ قد لا تستَطِيعُ أيُ عَنَاصِرَ تعْبِيريّةٍ أخرَى الإيفاءَ بِهَا.

- أنّ النّاسَ يتدَاولُونها بِاعتِبَارِهَا مُسَلّماتٍ، لَا يُمْكِنُ مُناقشَتُها أو الاعتِرَاضُ عَلَيهَا؛ مِمّا يرتفع بها إلى مَكانةٍ مُتمَيّزَةٍ.

وَقدْ تعامَلَ السّبْهَانُ في ديوَانهِ مَعَ مثَلَين اثنين: أحدُهما فَصِيح, والآخَرُ عاميٌ؛ إذ وردَ عندَهُ في قصيدَتهِ التي عُنْوَانُها "وادي الكلام" (السّبْهَان، 2018، ص.8-10).

"دَع كُلّ خَاطِرَةٍ تُفسِّرُ نَفْسَهَا
الوَعْيُ أَحْيَانًا
يَكُونُ بَلَاءَ
لَا تقترِحْ لِلظَّامِئِينَ كِنَايَةً
المَاءُ يُشْبِهُ يَا حَبِيبِي المَاءَ".

فالشّاعِرُ هُنَا يَتَوجّهُ بِالخِطَابِ إِلَى شَخْصٍ افتِرَاضِيّ، يُطلِقُ عَلَيهِ في هَذِهِ المَقْطُوعَةِ (حَبِيبِي)، وهُوَ اسمٌ يَرمزُ بِهِ إِلَى الكُلّ دُونَ تحدِيدٍ، ويُطَالِبُهُ بالكفِّ عَن إِعمَالِ ذِهْنِهِ وَكَدِّ عَقلِهِ في سَبِيلِ مَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ مِنْ حَولِهِ، وَوَسْمِها بِمُسَمَيَاتِهَا الحَقِيقِيّةِ، أو اختِرَاعِ أَسماءٍ جَدِيدَةٍ لهَا للتّعرِيفِ بِهَا. فهُو يرَى أنّ العِلمَ بالأَشْيَاءِ وكُنهِهَا لَيسَ نِعمةً، لكنّهُ قدْ يكونُ بَلَاءً ومُصِيبَةً عَلَى صَاحِبِهِ، وأنّ الجَهلَ أو التّغَابِي والتّجاهُلَ أسهل مَسْلَكًا وأفضَل اختيارًا في زمنٍ انقلبتْ فيه الموَازِينُ، وتبدّلتْ فيهِ النظرة إِلَى الأمورِ؛ ولهَذَا فإنّ الأَشْيَاء ستُعرِّف نفسَهَا بنفسِها، وكلّ شيءٍ سيكونُ عَلَى ما يرامُ بَعيدًا عن الوعي والإدراكِ.

يَستحضرُ الشّاعِرُ في المَقطُوعَةِ السّابِقَة المَثَلَين العَرَبِيّين: "هُوَ أَشْبَهُ بِهِ مِن المَاءِ بالمَاءِ" (العسكري، د.ت، ص.63/1؛ الميداني، د.ت، ص.63/1) و"ما أشبهَ الليلةَ بالبارحَةِ" (العسكري، د.ت، ص.63/1، الميداني، د.ت، ص.247/2). والمثلُ الأَوّلُ يُضرَبُ في شِدّةِ التّشَابُهِ بين الشيئين. و المثل الثّاني يضربُ في تشابُهِ الشّيئين من غيرِ نسبٍ بينهما، والشّاعِر هُنَا يعبر بهما مُوظِّفًا إيّاهُما في تجربتهِ مَعَ الكلَامِ الذي أصبحَ لا يُجدِي في هَذَا الزّمَان، فالوعْيُ والكلَامُ أَصْبحَا يشكِّلَانِ عِبئًا عَلَى صَاحِبِهما، بخِلَافِ التّجاهُلِ والصّمتِ، فَهُما لا يُكلِّفَانِ أحدًا شَيئًا، فَضْلًا عن أنّ الأَشْيَاءَ، هُنَا، لا تحْتَاجُ إِلَى تعريفٍ، فكلُّ شَيءٍ، هُنَا، هُوَ نفسُهُ، فالخَاطرةُ ستَفسِّرُ نفسَها بأنّها خَاطرةٌ، والمَاءُ لا يَعدُو عنْ أنْ يَكُونَ مَاءً.

وَقَدْ تناصّ الشّاعِرُ، هُنَا، مَعَ المثلَين السّابِقين مُستَغِلًّا مُناسبَةَ الحَالِ، وتشَابُهَ الظُّرُوفِ بينَ المثَلِ والمُرادِ مِنهُ؛ لذَا فقدْ لَجأَ إِلَى تضمينِ دَينكِ المَثَلَين في قَصيدَتِهِ، فأَصبَحتِ الأُمُورُ عِندهُ يُشبِهُ بَعضُها بَعضًا حَدّ التّمَاهِي والتّطَابُق، بل إنّها هيَ نفسُهَا، كما أنّ الماءَ يُشبهُ المَاءَ، والتّنَاصُّ معَ المثَلِ الأَوّلِ، خُصُوصًا، تنَاصٌّ مُبَاشِرٌ؛ إذْ يكادُ يكُونُ التّركِيبُ هُوَ هُوَ دُونَ تغْيِيرٍ (حسني، 1999، ص286، 287).

وفي قَصِيدَة "حَلِيمَة" (السّبْهَان، 2018، ص.61-63) نجِدُ أنّ الشّاعِرَ يَبْدُو غَيرَ مُقتنعٍ بِالنّتيجَةِ الحَتميّةِ التي وَصلَ إليها حَالُهُ الذي سَيطرَ عَلَيهِ الشّوْقُ والحَنينُ مرّةً أُخرَى، بعدَ أنْ كانَ قَدْ غَسَلَ يدَهُ منهُ من قبلُ. وفي وَصفِ هَذَا المَوقفِ يَقُولُ:

"كُلَّمَا...
رقّقَ المَسَاءُ نَسِيمَه
وَاعترَتْ مُهجَتِي الشُّجُونُ القَدِيمَة
عَاوَدَ الشّوْقُ واستوَت من جَدِيدٍ
سِدرَةُ المُنْتَهَى
وَعَادَتْ حَلِيمَة!".

وهُنَا يَتَنَاصُّ الشّاعِرُ مَعَ المَثَلِ الشّعبِيّ القَائِل: "رَجَعَتْ حَلِيمَةُ لعَادَتِهَا القَدِيمَةِ" (الموسوي ، ص.283)، والمثَلُ المُحَوّرُ عنهُ: "رَجَعَتْ ريمَةُ لعَادَتِهَا القَدِيمَةِ" (تيمور، 1956، ص.242)، موظّفًا إيّاه بما يَتَلَاءَمُ والفِكرَة التي يَتبَنّاها، فالمَثَلُ يَتميّزُ عَادَةً، بالتّركيزِ واختزالِ الأَحْدَاثِ الكثيرةِ،

وتقلِها إلى المُتَلقّينَ بألفَاظٍ، وعِبَارَاتٍ مُوجزةٍ، وهُوَ بهَذَا يكونُ أكثرَ تأثيرًا في المُتَلقّي؛ نَظرًا إلى إيحاءَاتِهِ العَميقةِ، ودَلَالَاتِهِ، التي لا تكادُ تخفى عَلى الخَاصّ والعَامّ، وهُنَا عَمَدَ الشّاعِرُ إلى تركيزِ المثَلِ وشَحْنِهِ بالطّاقاتِ الدّلاليّة المُكثّفة، من خِلَال الاختِصارِ المُتَمَثّلِ في الحَذفِ؛ إذْ حَذفَ الجُزءَ الثّاني مِنَ المَثَلِ، وَاكتَفَى بِذِكرِ الجُزْءِ الأ َوّل، إيمانًا منهُ بأنّ المُتَلَقّي سَيَعمَلُ منْ خِلَالِ ذاكرتِهِ التي تختزنُ الأ َمْثَالَ عَلى إكمالِهِ وإتمَامِهِ، بَلِ استِنبَاط المُرادِ مِنهُ دُونَ عَناءٍ يُذكر؛ لأن المثل هُنَا يعد استشهادًا يفرضُ "نفسَهُ في النّصّ، دُونَ أن يتطلّبَ مِنَ القارئ إعمَالَ الذّهن، أو مَعْرِفَة خاصّة" (غروس، 2012، ص.60) بِهِ، بسببِ صَلَاحيّةِ الأ َمْثَالِ لكلّ زَمَانٍ ومَكَانٍ (الخضور، 2007 ، ص.44)، وَقدْرَتها عَلى التّعْبِيرِ عَنِ الأ َحْدَاثِ المُتَشابهَةِ بصُورَةٍ دَقيقةٍ.

فعَودةُ الشّوْقِ إلى قلبِ الشّاعِرِ بَعدَ أنْ كانَ قَدْ نقَضَ يَدَهُ مِنهُ تتَطَابَقُ مَعَ المِثَالِ: "رَجَعَتْ حَلِيمَةُ لعَادَتِهَا القَدْيمَةِ".

الذي يَحكِي قِصّةَ حَلِيمَةَ زَوجَةِ حَاتِمٍ الطّائيّ التي كانَتْ تقلِلُ مِنَ السّمْن في طَعامِ الأ َضْيَافِ؛ فَكانَ ينهرُها زوجُها عَن بُخلِها، فلمْ يُفلِحْ، فَعَمَدَ إلى حيلةٍ؛ ليُقنعَهَا بذَلِكَ، وقَالَ لَهَا: إنّ زِيَادَةَ السّمْنِ في الطّعَامِ تزيدُ في عُمْرِ المَرْأة، ففَعلَتْ ذَلِكَ دَهْرًا، ولمّا أصابتْهَا مُصِيبةٌ تمنّتْ مِن أجْلِها المَوتَ عَمَدَتْ إلى تقليلِ السّمْنِ مرّة أُخرَى ظنًّا مِنهَا بأنّ ذَلِكَ سَوفَ يُؤَدّي إلى وفاتِها، فَقِيلَ مِن أجْلِ ذَلِكَ: رَجَعَتْ حَلِيمَةُ لعَادَتِهَا القَدْيمَةِ.

إنّ الشّاعِرَ لمْ يتكلّفْ في تعَامُلِهِ مَعَ المَثَلِ، وإنّمَا استَطَاعَ اِسْتِحْضَارَهُ وتوظيفَهُ بأسْلُوبٍ سَلِسٍ، يَخدمُ الفِكرَةَ المَطْرُوحَةَ، ويَتَمَاهَى مَعَ البنيَةِ التّرْكِيبيّة للقصِيدَةِ، ويُؤَثّرُ بِشَكلٍ جَلِيّ في إيقاعِهَا، فالشّاعِرُ المُجِيدُ هُوَ الذي يَتَعَامَلُ مَعَ الأ َمْثَالِ بعَقْويّةٍ؛ لأ َنّها تُمثّلُ جُزْءًا مِن لُغَتِهِ اليَومِيّةِ، فَيَخْتَارُ مِنهَا مَا يَتَلَاءَمُ وَقدْرَتهُ عَلى توْلِيدِ مَعَانٍ مُتَحَرّكةٍ؛ لِيُولِدَ المَثَلُ مِن جَديدٍ (الخضور، 2007، ص.44)، ويَنْفُخَ فيهِ مِن رُؤَاهُ وأفْكَارِهِ مَا يَجْعَلُهُ خَاصًّا بِهِ.

عِنْدَمَا عجَزَ الشّاعِرُ عَنْ وَصْفِ حالِهِ بكَلَامٍ طَوِيلٍ بعدَ أنْ عَاوَدَهُ الشّوْقُ لجَأَ إلى الإ ِيجَازِ، وليس هُنَاكَ أصْدَقُ مِنَ المثَلِ في ترجمةِ ما يُرِيدُهُ بأَلْفَاظٍ قَليلةٍ مُوجزَةٍ، ومَعْنًى عَمِيقٍ، فالأ َمْثَالُ ليسَتْ إلّا قَوَالِبَ تعْمَلُ عَلى تسْجِيلِ الوَقفَاتِ التّأمُلِيّةِ في النّصّ وتدوينِها، والوَقفَةُ التّأمُلِيّةُ في القَصِيدَةِ تُعدُ تعبِيرًا عَنْ قِرَاءَةٍ جَدِيدَةٍ ومُعَادَةٍ للأ َحداثِ؛ للكشْفِ عَنْ مَواطِنِ التّقاطُعِ بَينَ المَوَاقِفِ التي قيلَتْ فيها الأ َمْثَالُ، ومَوَاقِفَ تطفُو عَلى سطحِ تجْرِبَةِ الشّاعِرِ الحَيَاتِيّةِ بكلّ تفَاصِيلِها، إنّها مَوَاقِفُ قد تصِلُ أحيانًا إلى حَدِّ التّطَابُقِ والتّمَاهِي، فيأتِي المَثَلُ م ُلَخّصًا كلّ ما يُمْكِن أنْ يُقالَ (الخضور، 2007، ص.42)، بِعِبَارَاتٍ أقلّ، ودَلَالةٍ أعْمَقَ وأشْمَلَ.

3-التّنَاصُّ التّاريخيُّ:

يُقصَدُ بالتّنَاصّ التّاريخِيّ تدَاخُلُ نُصُوصٍ تاريخِيّة مُختارةٍ ومُنتقاةٍ معَ النّصّ الشّعْرِيّ المقرُوء، بحَيثُ تبدُو مُنَاسِبَةً ومُنْسَجِمَةً لدى المُؤلِفِ أو القارئ معَ السّيَاقِ الشّعْرِيّ الذي يرصُدُهُ، وتؤَدّي غَرَضًا فِكريًا أو فَنّيًا أو كِليهما مَعًا (الزعبي، 2000، ص.29، 30). وَقَدْ كثرَ استعمالُ التّنَاصّ التّاريخِيّ في الشّعْرِ الحَديثِ، بِشَكلٍ خَاصّ، استعمالًا تحوّرتْ فيهِ دَلَالتُهُ الأ َصْلِيّة عَمّا يُرِيدُهُ الشّاعِرُ بِسَبَبِ ما يُلقِيهِ عَليهِ مِن ظِلَالٍ جَدِيدَةٍ يُطبّقُها الشّاعِرُ بِطابعِهِ الخَاصّ، الذي يجعل منه خيطا ممتدا يصل الحاضر بالماضي ويستعيد الذاكرة الثقافية والجمالية (الحربي، 2023، ص.300)، مِمّا يُؤَدّي إلى تبديلِ تِلكَ النّصُوصِ الغَائبَةِ، ويُحَوّلُ القصِيدَةَ إلى عالمٍ جَدِيدٍ، يأخذُ القارئَ إلى عَالمٍ جَدِيدٍ بِمَدلولَاتِهِ (قاسم، 2017، ص.124) الجَدِيدَةِ، والمُخْتَلِقَةِ عن الدّلَالةِ الأ َصْلِيّةِ لِلنّصّ التّاريخِيّ.

إنّ التّنَاصّ التّاريخِيّ يكونُ بأشْكالٍ مُخْتَلِقةٍ ومُتنوّعَةٍ، فقد يكونُ عن طَرِيقِ اِسْتِدْعَاء اسمِ مكانٍ تاريخِيّ منَ المَاضِي، أو اِسْتِحْضَارِ أحداثٍ وشَخْصِيّاتٍ تاريخِيّةٍ، تركَتْ بَصمَاتٍ وَاضِحَةً في صَفحَاتِ التّاريخ، وعلقتْ بالذّاكِرَةِ الإ ِنْسَانِيّة، فيُقيمُ التّفاعُلَ النّصّيّ عَلَى التّحَاوُر بين المَاضِي و الحَاضِرِ بأشْكالٍ مُتَعَدِّدَة (حسني، 1999، ص.252)؛ ولهَذَا فهُو يُمَثِّلُ دَورَ المُتَجَاهِلَ الذي يَعمَلُ عَلَى سَردِ تِلْكَ الأ َحْدَاثِ الغَابِرَةِ وروَايتِها، ومِنْ ثمّ فإنّ القَارِئَ الواعي يَسْتَطِيع ربط خيوط التّوَاصُل بين تِلْكَ النّصُوصِ المُتداخِلَةِ؛ ليَصِلَ إلَى مَعْزَى صَانِعِ التّنَاصّ(حسني، 1999، ص. 252).

لَقدْ عُرِفَ التّنَاصُّ التّاريخِيّ في الشِّعْرِ القَدِيم، يَقُولُ ابنُ رَشِيقٍ القيروانِيُّ: "ومن عادةِ القدْمَاء أن يَضربُوا الأ َمْثَال في المَرَاثِي بالمُلُوكِ الأ َعِزّةِ والأ ُمَمِ السّابِقة" (القيرواني، 1981، ص.150/1). وَقَدْ فصّلَ حازمُ القرْطَاجَنّيُّ القولَ في ذَلِكَ واشتَرطَ في الإحَالَةِ التّاريخِيّة ما يأتِي:

- الا ِعْتِمَادُ عَلَى المَشْهُورِ منها؛ لِيُشبّه بها حالةٌ مَعْهُودَةٌ.
- اِستِقصاءُ أجزاءِ الخبرِ المُحاكِي وترتيبُها عَلَى حدِّ ما انتظمَتْ عليهِ حالَ وُقُوعِها (القرطاجني، 1986، ص.189، 190) وتعليقًا عَلَى هذين الشّرْطَيْنِ يَقُول مُحَمّد مفتاح: "إنّ كلًّا مِنَ الشّرْطَيْنِ يُحِيلُ عَلَى نوعٍ مُعيّنٍ بِطَرِيقتَينِ مَعرُوفَتَين، يقومُ عليهما الشِّعْرُ، وهُما:

-المُحَاكَاةُ التّامّةُ (التّخْطِيطُ، الإ ِطْنَابُ).

- **الإحَالَةُ المَحْضَةُ (الإ ِيجَازُ):** هَذِهِ هيَ التِي تحْتَاجُ إلَى شَرْحٍ وتوضِيحٍ؛ ليُدركهَا المُتَلَقِي العَادِيّ" (مفتاح، 1992م، ص.129). والنّوع الثّانِي هُو الذي اِتّبَعَهُ السّبْهَانُ في إحَالَاتِهِ التّاريخِيّة الواردةِ في الدّيوَان، إذ إنّهُ لا يذكرُ الحَادِثَةَ التّاريخِيّة بكلّ تفاصِيلها، وإنّما يُوجزُها إيجَازا، ومِنْ ذَلِكَ قوله في قصيدتهِ التِي عُنْوَانُها "مَسَافَة" (السّبْهَان، 2018م، ص.28، 29):

"لعلّ الرّسَائِل ماتتْ حَنِينًا
ومَا عَادَ فِي الرّوح..
إلّا ارتِجَافُه
عطفنا عَلَى زَمنِ الحبِّ دهرًا
وها نَحْنُ..
صِرْنَا نَخَافُ اِنْعِطَافَهُ
وَثِقْنَا بِهِ..
حِينَ مدّ التّصَافِي
كمَا وَثقَ "المُهْتَدِي" بالخِلَافَة".

لَقدْ تنَاصّ الشّاعِر فِي السّطْرِ الأ َخِيرِ مَعَ قصّةِ الخَلِيفَةِ المُهْتَدِي العَبّاسِيّ الذي اِطمَأنّ إلَى الخِلَافَةِ، وركنَ إليها، وظَنّ أنّها لنْ تنزعَ منهُ، ولكنّهُ ظَنّهُ بهَا خَابَ، فانتزْعَتْ مِنهُ قَسْرًا، وَدَفعَ حَيَاتَهُ ثمنًا لذَلِكَ، والمُهْتَدِي لَقبُهُ، واسْمُهُ مُحَمّدُ بنُ هَارُونَ الواثقُ بنُ مُحَمّد المُعْتَصِم بن هَارُونَ الرّشِيد (256-222هـ)، مِنْ خُلَفاء الدّولةِ العَبّاسِيّةِ، بُويعَ بالخِلَافَةِ بَعدَ خَلعِ المُعِزّ سَنَةَ (255هـ) ولَمْ يلبثْ أن انقضّ عَلَيهِ التُّركُ ببغدادَ، فَخَرجَ لقِتَالِهم، ونشبّتِ الحَربُ، فتفرّقَ عنهُ مَن كانَ مَعهُ مِن جُندِهِ (وَهُم منَ التُّركِ أيضًا)، وانْضَمّوا إلَى صُفُوفِ أصْحَابِهم، فبقِيَ المُهْتَدِي في جَماعَةٍ يَسِيرَةٍ مِن أنصَارِه، فانهَزَمَ، والسّيفُ في يَدِه، يُنَادِي: يَا مَعْشرَ المُسْلِمِينَ، أنَا أميرُ المُؤْمِنِينَ، قاتلُوا عَن خَلِيفَتِكُم! فَلَمْ يأبَهْ أحَدٌ، وأُصيبَ بطعَنَاتٍ مَاتَ عَلَى إثرِهَا (الزركلي، 2002، ص.128/7).

استَحضرَ الشّاعِرُ هُنَا حَادِثَةً تاريخِيّةً مُهمّةً هي "خِلَافَةُ المُهْتَدِي" وألمَحَ إليهَا إلمَاحًا دُونَ أنْ يَذكُرَ تفَاصِيلَ تِلْكَ الحَادِثَةِ؛ لِيُثِيرَ انتباهَ المُتَلَقِي فيَجتَرّ حَيثِيّاتِ الحَادِثَةِ وَمُلَابسَاتِها؛ فيَتَحدّثُ عَنْ

مُعاناتِهِ مِنْ زَمَنِ الحُبِّ، ذَلِكَ الزّمَن الذي كانَ يَعطفُ عليهِ ويحنُو، ولكنّهُ في آخرِ المَطافِ أصبحَ زَمنًا مُخيفًا بِالنِّسْبَةِ إليه، ممّا جعلَ ظنّهُ فيهِ يَخيبُ، كمَا خابَ ظنُّ الخَلِيقةِ العَبّاسِيّ (المُهْتَدِي) في الخِلَافَةِ التي خُلِعَ منها، وقُتِلَ بِسَبَبِها، بعْدَ أنْ كانَ يَركنُ إليهَا، وَيَسندُ ظَهرَهُ إلى المنزلةِ التي يعدُ فيها أميرَ المُؤْمِنينَ وخَلِيفةَ المُسْلِمِينَ.

والشّاعِرُ في تنَاصِّهِ، هُنَا، لا يَعْنِيهِ تدْوينُ أحْدَاثِ قِصّةِ خِلَافَةِ المُهْتَدِي وتسجِيلُها مِن أجلِ إحيائِهَا، أو تذكيرِ الأَجيالِ بها، وإنّمَا عَرَضُهُ مِنْ ذَلِكَ في المَقامِ الأوّلِ أنْ يُعبّرَ عَنْ ذَاتِهِ وَوَاقِعِهِ بِهَذِهِ الحَادِثة؛ نظرًا إلى أنّ قِصّةَ المُهْتَدِي التّاريخِيّةَ تتَطَابقُ مَعَ وَاقِعةِ الرّاهِنِ (حسني، 1999 ، ص.252). فانسِجَامُ هَذَا التّنَاصِّ مِن حَيثُ المَضْمُونُ يتَجلّى مِن حَيثُ إنّ الخِلَافَة تقابلُ زَمَنَ الحُبِّ، والخَلِيقة المُهْتَدِي يُقابلُ الشّاعِر، والعَلاقةُ بينَهما هيَ وثُوقُ المُهْتَدِي بالخِلَافَةِ، ووثوقُ الشّاعِرِ بزمنِ الحُبِّ، ثمّ التّقابُل في نِهايةِ قصتَيهما، فالخِلَافَة بِالنِّسْبَةِ إلى المُهْتَدِي صَارَتْ مَغرمًا وَعبئًا بعدَ أنْ كانتْ مَغنمًا، وزمَنُ الحُبِّ بِالنِّسْبَةِ إلى الشّاعِرِ صَارَ وَحشًا مُخيفًا وخَريفًا مُجدبًا بعدَ أنْ كانَ حَملًا وَدِيعًا وَرَبيعًا شَاعِرِيًّا. فالسّبْهَانُ الذي يَلْجَأُ إلى صُورَةٍ مُتَخَيّلَةٍ لعَرْضِ مَأساتِهِ يَستحْضِرُ صُورَةً وَاقِعِيّةً منَ التّاريخِ لِتَجْسِيدِ اللّحْظَةِ الرّاهِنَةِ، وهَذَا يُحدثُ انسِجامًا فَنِّيًّا مَعَ التّنَاصِّ عَلَى صَعِيدِ الصُّورَةِ والخَيَالِ (الزعبي، 2000، ص20).

أمّا النّمُوذَجُ الثّانِي لِلتّنَاصِّ التّاريخِيّ في ديوَانِ "مَا لَا يَجيء" فإنّهُ يَرِدُ في قَصِيدَةِ "أصْنَام" (السّبْهَان، 2018، ص.77-79)، عَلَى لِسَانِ الشّاعِرِ ومُخاطبِهِ الذي عبّرَ عنهُ بلفظةِ "أخي"، وَهُوَ يُحَدّثُهُ عنِ اجترارِهم لفْظَةَ "الكرَامَةِ" التي لا ينفكّونَ عَنِ التّبجُحِ بِهَا والمُفَاخَرَةِ، ولكنّ ذَلِكَ مجرّدُ شِعاراتٍ جَوْفَاءَ، فَلَوْ أنّهُ دفعَ في ثمنِها أكثرَ بقليلٍ منَ الذي عرضَ عليهم أوّلَ الأَمْرِ لبَاعُوها، وليسَ هَذَا هُوَ العَيبَ الوَحيدَ، ولكنّ هُنَاكَ عَيبًا أقبحَ مِنهُ وأشنعَ، هو أنّ لَدَيهم مَورُوثًا وتقليدًا وأعرافًا يُمَجّدُونها ويقدّسُونها، ولكنْ ما إنْ تتعَارَضْ وأهواءَهُم فإنّهُم لا يلبثُونَ أنْ يَتَخلّوا عَنْها. يَقُولُ الشّاعِرُ:

"نَعَمْ نَحْنُ الّذِينَ تقدّسَتْ فِينَا كرَامَتُنَا
وَلَو زَادُوا قَلِيلًا فِي المُقَابِلِ
رُبّمَا: بِعْنَا
لنَا صَنَمٌ مِنَ الحِكمِ القَدِيمَةِ لا نُغَادِرُهُ
نَجُوعُ لِكي نُزَخْرِفَهُ..
ونَأكلُ منهُ إنْ جُعنَا".

إنّ هَذَا التّنَاصّ مُرتبطٌ من حَيثُ الدّلَالةُ والشّكلُ بِالفِكرَةِ التي يتناولُها السّيَاقُ الشّعْرِيُّ، التي تتَحَدّثُ عَنْ عَلَاقةِ الشّاعِرِ وقومِهِ بـ"الحكمِ القَدِيمَةِ" التي يُرِيدُ بها الشّاعِرُ المَبادِئَ والقِيمَ المَورُوثَةَ ، وعَلاقتهُم أيضًا بـ"الكرَامَة" التي يُمْكِنُ التّخلّي عنها إذَا كانَ الثّمنُ مُجْزِيًا!!

يَتَنَاصُّ الشّاعِرُ في الأَسْطُرِ الثّلَاثةِ الأَخِيرَةِ من هَذِهِ المَقطُوعَةِ مَعَ قصّةِ عباداتِ العرَبِ قبلَ الجَاهِلِيّةِ؛ إذْ كانُوا يَصنَعُونَ لأَنفُسِهم أصْنَاما مِنَ التّمْرِ فَيَعبُدُونها ويُصَلّونَ لها ويقدّمُونَ لهَا النّذُورَ، ولكِنّ هَذَا الأَمرَ لا يَستَمِرُ، فَمَا إنْ يَشْعُرِ الرّجلُ منهُم بالجُوعِ، ولا يَجِدُ ما يَسُدُ بِهِ رَمقهُ يَلْجَأُ إلى صَنَمِهِ المَصْنُوعِ مِنَ التّمْرِ فيأكلُهُ (ابن حجر، 1379، ص.284/10). فالعَلَاقةُ بينَ الشّاعِرِ وقومِهِ مِن ناحيَةٍ، وبينَ (الحِكمِ القَدِيمَةِ) مِن ناحيَةٍ أُخرَى، قدِ اقتَضَتِ اِسْتِحْضَارَ ذَلِكَ الحَدَثِ التّاريخِيّ التّرَاثِيّ الذي يُعَمّقُ رُؤيتَهُ للمَوضُوعِ، ويُوضّحُ العَلَاقةَ القائِمَةَ بَينَهُما، ويُعرّيها وَيَكشفُها في هَذَا السّيَاقِ (الزعبي، 2000، ص.33).

فَقصّةُ العَرَبِيّ الجَاهِلِيّ مَعَ الأ َصْنَام هِيَ قصّةُ الشّاعِرِ وقَومِهِ مَعَ الكرَامَةِ، فالصّنَمُ و الكرَامَةُ يَظلّان مُقدّسين ما دامَ النّاسُ في غِنًى عَنهُما، ولكنّهُما يُؤكّلان ويُضحّى بهما إذَا تعَارَضَ ذَلِكَ التّقديسُ مَعَ المَصْلَحَةِ الآنيّةِ.

فالتّنَاصُ في هَذِهِ القِصّةِ التّارِيخيّةِ التّرَاثِيّةِ الرّامِزَةِ يَنْسَجِمُ، عَلَى ما يَبْدُو، فنيًّا مِن خِلَالِ الأ ُسْلُوبِ واللُّغَةِ، وفِكريًّا مِن خِلَالِ تجسيدِهِ للمَعْنَى، أو المَوضُوعِ المَطْرُوحِ في هَذَا السّيَاق، كما أنّهُ يُؤَدّي الوَظِيفَةَ التي اقتَبَسَ مِن أجلِ تأديتِها بِشَكلٍ مُتّسِقٍ مُناسبٍ مُقنعٍ (الزعبي، 2002، ص.33).

وَقَدْ عَمدَ الشّاعِرُ، هُنَا، إلَى الرّمْزِ بالقِصّةِ التّارِيخيّةِ إلَى تشخيصِ الحالَةِ الرّاهِنَةِ لهُ ولقومِهِ (العرَب), التي تخلّى فيها الجَميعُ عَنِ المبَادئِ والقِيَمِ وكلّ ما كانَ يُعدُّ مُقدّسًا في الثّقافَةِ العَرَبِيّةِ عِندَ أوّلِ اختبارٍ لهُم، فالكرَامَةُ بِيعَتْ بالمَزادِ، والقيمُ والعاداتُ والتقاليدُ تمّ التّخلّي عَنها عِنْدَمَا تعَارَضَتْ مَعَ الأ َهوَاء، فالتّنَاصُ التّارِيخِيُّ يُعدُّ وسيلةً، يَلجَأُ إليها الشّاعِرُ إذَا ما رَأى أنّ التّصريحَ بِ المُرادِ قدْ يُلحِقُ بهِ الأذَى؛ ولهَذَا فإنّ التّنَاصّ التّاريخيّ مُفِيدٌ ومُجْدٍ؛ مِن حَيثُ إنّهُ يتيحُ "لِلشّاعِرِ أنْ يمتلِكَ حُريّتَهُ التّامّةَ في تكثيفِ الدّلالَةِ التي يُرِيدُ تسليطَ الضّوءِ عَلَيهَا، كما يتيحُ لهُ أنْ يمتلِكَ حريّتَهُ التّامّةَ في قولِ ما يشَاءُ عَلَى ألسنَةِ الآخَرين؛ بحُجّةِ أنّهُ يتحدّثُ عَن شَخْصِيّاتٍ تاريخِيّةٍ" (حسني، 1991، (252)، وينقلُ ما فَعلتهُ أو قالتهُ دونَ أنْ يقصِدَ بذَلِكَ شيئًا آخرَ.

إنّ الشّاعِرَ، هُنَا، لا يَقصِدُ إسقاطَ مَدلولِ القِصّةِ التّاريخِيّةِ التّرَاثِيّةِ عَلَى الوَاقِعِ الرّاهِنِ وَحَسْبُ، ولكنّهُ أرَادَ السُّخْرِيَةَ المَرّةَ مِن أولئِكَ الّذِينَ جَعَلُوا مبَادِئَهُم سِلعَةً رخيصة في سوقِ الكرَامَةِ ، يبيعُونها متَى دعتِ الحاجةُ إلَى ذَلِكَ، ثمّ لا يجدونَ في ذَلِكَ حَرجًا.

الخَاتِمَة:

تناوَلتُ في هَذَا البَحثِ التّنَاصّ في ديوَان "مَا لَا يَجيء" لِلشّاعِرِ السّعُوديّ سُلطَان السّبْهَان، مُتَطرّقةً إلَى أبْرَزِ التّنَاصّات فيهِ، ودَلَالَاتها، والرُّؤيَةِ العَامّة التي تحمِلهَا، ومَعْرِفَةِ المَصَادِرِ التّرَاثِيّةِ التي اِعْتَمَدَ عَلَيهَا في اِسْتِدْعَاءِ تِلكَ التّنَاصّاتِ، مُعْتَمِدَةً عَلَى التّنَاصّ، وقدِ انتهيتُ إلَى مَجمُوعَةٍ من النّتائج؛ أهمّها:

1- لَقدْ كانَ لِلثّقافَاتِ الدّينِيّةِ والأ َدَبِيّةِ والتّارِيخِيّةِ دَورٌ بارِزٌ في تشكيلِ قصَائدِ الشّاعِرِ سُلطَان السّبْهَان، من خِلَالِ توظِيفها في سِياقاتِ أشعارِهِ الحَديثَةِ، مُتَماثلةً معَ ذَلِكَ الموروُثِ تارةً، ومُجَاوزةً لهُ تارةً أُخرَى.

2- كانَ التّنَاصُ الدّينِيُّ، لاسيّما معَ القُرْآنِ الكريم، طاغيًا عَلَى الدّيوَان؛ نظرًا إلَى الثّقافَة الدّينِيّة التي تأثر بها الشّاعِر وتربّى عَلَيهَا.

3- يَأتِي بَعدَ التّنَاصّ الدّينِيّ التّنَاصُ معَ التّرَاثِ الشّعْرِيّ، ثمّ التّرَاثِ التّارِيخِيّ، وَقَدْ كانتْ الإحَالَة إلَى تِلكَ المَصَادِرِ أكثر أساليبِ التّنَاصّ استعمالًا لدَى الشّاعِرِ؛ بسببِ إدراكهِ أنّ دَلَالَاتِ تِلكَ التّنَاصّاتِ رَاسِخَةٌ في الذّاكِرَةِ الجمعيّةِ العَرَبِيّة، وأنّ القارِئَ بما لديهِ من ثقافةٍ، يَستَطِيعُ مُقَارَبَةَ تِلكَ التّنَاصّاتِ مُستَحْضِرًا الأ َحْدَاثَ والحكاياتِ الأ َدَبِيّةَ والدّينِيّةَ والتّارِيخِيّةَ كامِلَةً.

4- يُعدُّ التّنَاصُ التّارِيخِيُّ وَسيلةً ناجحةً للهرُوبِ منَ المُواجهةِ والمَسْؤولِيّةِ؛ لِذَا لَجَأَ إليهِ الشّاعِرُ حينَ رَأى أنّ التّصريحَ بالمُرادِ قدْ يُلحِقُ الأذَى بِهِ؛ ولهَذَا كانَ التّنَاصُ التّارِيخِيُّ مُفِيدًا لهُ ومُجْدِيًا في عرضِ المسكوتِ عَنهُ؛ مِن حَيثُ إنّهُ أتاحَ "لِلشّاعِرِ أنْ يمتلِكَ حُريّتَهُ الكامِلَةَ في عرضِ أفكارِهِ، والتّعبيرِ عَنْهَا.

5- إنّ ذَلِكَ الا ِنْفِتَاحَ عَلَى التّرَاث بِكلّ أشْكالِهِ قد أثرَى لُغَةَ النّصّ، وَنَقلَ رُؤيَةَ الشّاعِرِ إلَى المُتَلَقّي، وجَعَلَ مِن تِلكَ النّصُوصِ الشّعْرِيّةِ أفقًا رَحبًا مُنفتحًا عَلَى تُرَاثٍ مُتعدّدِ المَشَارِبِ، لا يَلغِي

خُصُوصيّةَ الشّاعِر، بَل يُؤصِّلُها، ويَطْبَعُها بِطَابعِهِ الخَاصّ.

المَرَاجع:

باختين، ميخائيل، (1987)، الخطاب الروائي، ترجمة: مُحَمّد برادة، الرباط، دار الأمان للنشر و التوزيع.

التّنَاص: دراسة تطبيقية في شعر النقائض (جرير والفرزدق والأخطل)، حسنين، نبيل علي، ط1، الأردن، كنوز المَعْرِفَة، 2010م.

تيمور، أحمد، (1956)، الأ َمْثَال العاميّة، القاهرة، ط2، مطابع دار الكِتَاب العَرَبِيّ بمصر، لجنة المؤلفات التّيمُورِيّة.

جينيت، جيرار، (1998)، طروس الأدب عَلَى الأدب، ضمن كتاب: دراسات في النص والتّنَاصّية، ترجمة: مُحَمّد خير البقاعي، حلب، مركز الإنماء الحضاري.

الحربي، منيف بن سعود بن سمير، (2023)، التناص مع التراث في شعر إبراهيم الدامغ، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، 5(1)، 295-324

حسن، مُحَمّد معلا، وعلي، مُحَمّد إبراهيم، (2016)، أساليب التّنَاصّ الشّعْرِيّ عند ممدوح عدوان، مجلة جَامِعَة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآدَاب والعلوم الإ ِنْسَانِيّة، سوريا، 8(2)، 39-11.

حسني، المختار، (1999)، نظرية التّنَاصّ، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ع: 34، 1 ديسمبر.

حمداوي، جميل،(1997)، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفُنُون والآدَاب، مج: 25، ع: 3، 79-112.

الخضور، صادق عيسى، (2007م)، التّوَاصُل بالتُّرَاث في شعر عزالدين المناصرة، الأردن، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

الزركليّ، خير الدين، الأعلام، بيروت، ط5، دار العلم للملايين، 2002م.

الزعبي، أحمد، (2000م)، التّنَاصّ نظريًا وتطبيقًا، الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.

ساميول، تيفين، (2007)، التّنَاصّ ذاكرة الأدب، ترجمة: نجيب عزاوي، دمشق، منشورات اتحاد الأ ُدَبَاء والكِتَاب العرب.

السبهان، سلطان، (2018م)، لا شيء يجيء، الرياض، ط1، دار تشكيل للنشر والتوزيع.

سليمة، عذاوري، (2012)، شِعْرِيّة التّنَاصّ في الرواية العَرَبِيّة، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع.

السماوي، أحمد، (2002)، التطريس في القصص: إبراهيم درغوثي أنموذجا، تونس، د.ط، مطبعة التسفير الفني، صفاقس.

الشّمّريّ، شيمة بنت مُحَمّد، (1439)، التعالي النّصّيّ في القِصّة القصيرة الخليجية، جدة، النادي الأ دبي الثقافي بجدة، بيروت، مؤسسة الانتشار العَرَبِيّ.

الشوكاني، مُحَمّد بن علي، (1414)، فتح القَدِير، دمشق، دار أبن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب.

الصكر، حاتم، (1999م)، مرايا نرسيس- الأنماط النوعية والتشكلات البنائية لقصيدَة السرد الحديثة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
العسقلاني، ابن حجر، (1379)، فتح الباري شَرْح صحيح البخاري، تصحيح وترقيم: مُحَمّد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، وعبدالعزيز بن باز، د.ط، بيروت، دار المَعْرِفَة.
العَسْكرِيّ، أبو هلال، (د.ت)، جمهرة الأ َمْثَال، بيروت، دار الفكر.
غروس، ناتالي بييقي، (2012)، مدخل إلى التّنَاصّ، ترجمة: عبد الحميد بورايو، سوريا، دار نينوى للدراسات والترجمة والنشر والتوزيع.
أبو العلاء المَعَرّيّ، (1991)، اللزوميات، تحقيق: حامد عبد المُجِيد، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العَامّة للكتاب.
قاسم، المسعود، (2017)، التّنَاصّ في دِيوَان أنطق عن الهوى لعبدالله حمادي، مجلة دفاتر مخبر الشِّعْرِيّة الجزائرية، العدد الرابع، 117، 129.
القرطاجني، حازم، (1986)، منهاج البلغاء وسراج الأ ُدَبَاء، تحقيق: مُحَمّد الحبيب بن الخوجة، بيروت، ط3، دار الغرب الإسلامي.
القرطبي، شمس الدين، (1964م)، الجامع لأحكام القُرْآن- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، ط2، دار الكتب المصرية.
قيبوج، عبد العزيز، (د.ت)، أشْكال التّنَاصّ القُرْآنيّ في الشِّعْر الجزائري القدْيم- شعر الثّعْريّ التلمساني نموذجًا، (بَحْث غير منشور).
القيرواني، ابن رشيق، (1981)، العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابه، تحقيق: مُحَمّد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، ط5، دار الجيل.
كريستطيفا، جوليا، (2004)،علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مَرَاجِعة: عبدالجليل ناظم، المغرب، ط3، دار توبقال للنشر.
لحمداني، حميد، (2001م)، التّنَاصّ وإنتاجية المعاني، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، مج: 10، ج: 40، 106. 336.
المَاضِي، شكري عزيز، (1993)، في نظرية الأدب، بيروت، دار المنتخب العَرَبِيّ للدراسات والنشر و التوزيع.
المُتَنَبّي، أبو الطيب، (1986)، شَرْح دِيوَان المُتَنَبّي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكِتَاب العَرَبِيّ.
محمد سيّد علي عبدالعال، (2018)، لُبِيدٌ والذِّكْرَى المُستَدِيرَةُ (أصداءُ النّصّ ومَرَايَا السِّيرةِ)، القاهِرة، مَكتبَة الآدَاب.
مستاري، إلياس، وبن بوزيان، سليم، (2019م)، التّنَاصّ في دِيوَان عبدالرحيم البرعي، مجلة كُلِيّة ا لآدَاب واللغات، جَامِعَة مُحَمّد خيضر، بسكرة، المجلد12، العدد 25، 389-400.
معراج الشّاعِر: مُقَارَبَة أُسْلُوبية لشعر طاهر رياض، الخطيب، رحاب، (2005)، بيروت، ط1، المؤسسة العَرَبِيّة للدراسات والنشر.
مفتاح، مُحَمّد، (1992)، تحليل الخطاب الشِّعْرِيّ: إستراتيجية التّنَاصّ، بيروت، ط3، المركز الثقافي

العَرَبِيّ.
المَيْدَانِيّ، أبو الفضل، (د.ت)، مجمع الأ َمْثَال، تحقيق: مُحَمّد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، بيروت، دار المَعْرِفَة.
واصل، عصام، (2011)، التّنَاصّ التُرَاثِيّ في الشِّعْر العَرَبِيّ المعاصر، الأردن، ط 1، دار غيداء للنشر والتوزيع.
وغليسي، يوسف، (2007)، مناهج النقد الأدبي، الجزائر، ط1، جسور للنشر والتوزيع.
ياكبسون، رومان، (1988)، قضايا الشِّعْرِيّة، ترجمة: مُحَمّد الولي، ومبارك حنون، المغرب، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء.

References

Abu Al-Ala Al-Maari, (1991), Al-Lazomyat, investigation: Hamed Abdelmaguid, D. T, Cairo, the Egyptian General Book Authority.
Al-Askari, Abu Hilal, (D.T), Jamharat Alamthal, Beirut, Dar Al-Fikr.
Al-Asqalani, Ibn Hajar, (1379), Fath Al-Bari, the explanation of Sahih Al-Bukhari, correction and numbering: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Muheb Al-Din Al-Khatib, and Abdel-Aziz Bin Baz, D .T., Beirut, Dar Al-Maarefah.
Alharbi, Munif Bin Saud bin Samir, (2023), Intertextuality with Heritage in the Poetry of Ibrahim Al-Damegh, Journal of Arts for Linguistic and Literary Studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, 5 (1), 295-324.
Al-Khdour, Sadiq Issa, (2007 AD), Communicating with Heritage in the Poetry of Izzaldin Al-Manasra, Jordan, 1st Edition, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution.
Almadhi, Shukri Aziz, (1993), in theory of Literature, Beirut, Arab National Team for Studies, Publishing and Distribution.
Al-Maidani, AbualFadl, (D.T), Proverbs Complex, investigation: Mohammed Mohiuddin Abdul-Hamid, D.T., Beirut, Dar Al-Maarefa.
Al-Mutanabi, Abu Al-Tayyib, (1986), Commentary on Al-Mutanabi's Diwan, compiled by: Abdulrahman Al-Barqouqi, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Al-Qartajani, Hazem, (1986), Minhaj Al-Bulghaa and Siraj Al-Adabaa, investigation: Mohammed Al-Habib bin Al-Khawja, Beirut, 3rd edition, Dar Al-Gharb Al-Islami.
Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq, (1981), Al-Omdah in the Beauties and Literature of Poetry, investigation: Mohammed Mohiuddin Abd al-Hamid, Beirut, 5th edition, Dar Al-Jeel.
Al-Qurtubi, Shams al-Din, (1964 AD), the Comprehensive of the Rulings of the Qur'an - Interpretation of al-Qurtubi, investigation: Ahmed Al-Bardouni, and Ibrahim Atfayyesh, Cairo, 2nd Edition, Egyptian Book House.
Al-Sabhan, Sultan, (2018AD), Nothing Comes, Riyadh, 1st edition, Tashkeel House for Publishing and Distribution.
Al-Sakr, Hatem, (1999AD), Mirrors of Narcissus - Qualitative Patterns and Structural Formations of the Modern Narrative Poem, Beirut, University Institute for Studies, Publication and Distribution.
Al-Samawi, Ahmed, (2002), Tatrees in stories: Ibrahim Dargouthi as a model, Tunisia, D.

T., Al-Tasfir Al-Fani Press, Sfax.
Al-Shammari, Shaima Bint Mohammed, (1439), Textual transcendence in the Gulf short story, Jeddah, the Literary and Cultural Club in Jeddah, Beirut, the Arab Expansion Foundation.
Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, (1414), Fath Al-Qadir, Damascus, Dar Ibn Katheer, Beirut, Dar al-Kalam Al-Tayyib.
Al-Zarkali, Khair Al-Din, Al-Alam, Beirut, 5th edition, Dar Al-Ilm Li Millions, 2002.
Al-Zoubi, Ahmed, (2000 AD), intertextuality in theory and practice, Jordan, Ammon Foundation for Publication and Distribution.
Bakhtin, Michael, (1987), the Novelist Discourse, Translated by: Mohammed Barrada, Rabat, Dar Al-Aman for publication and distribution.
Gaross, Natalie Baiqi, (2012), An Introduction to Intertextuality, translated by: Abdulhamid Borayo, Syria, Dar Nineveh for Studies, Translation, Publication and Distribution.
Genet, Gerar, (1998), Turoos of Literature over Literature, within the book: Studies in the Text and Textuality, translated by: Mohammed Khair Al-Biqai, Aleppo, Center of Civilization Development.
Hamdawi, Jamil, (1997), semiotics and addressing, Alam Al-Fikr magazine, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Literature, Vol.: 25, No.: 3, 79-112.
Hassan, Mohammed Mualla, and Ali, Mohammed Ibrahim, (2016), Methods of Poetic Intertextuality by Mamdouh Adwan, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies, Series of Arts and Humanities, Syria, 8 (2), 11-39.
Hosni, Al-Mukhtar, (1999), theory of Intertextuality, Marks in Criticism Magazine, Literary and Cultural Club in Jeddah, Saudi Arabia, NO: 34, December 1.
Intertextuality: An Applied Study in the poetry of Alnaqaidh (Jarir, Al-Farazdaq and Al-Akhtal), Hassanein, Nabil Ali, 1st edition, Jordan, Knowledge Treasures, 2010 AD.
Jacobson, Roman, (1988), Cases of Poetry, translated by: Mohammed Al-Wali, and Mubarak Hanoun, Morocco, 1st Edition, Dar Toubkal, Casablanca.
Kristeva, Julia, (2004), The Science of the Text, Translated by: Farid Al-Zahi, Reviewed by: Abdel-Jalil Nazim, Morocco, Edition 3, Toubkal Publishing House.
Lahmadani, Hamid, (2001AD), intertextuality and the productivity of meanings, signs in criticism, the Literary and Cultural Club in Jeddah, Saudi Arabia, Vol.: 10, C: 40, 106. 336.
Miraj Al-Shaer: A stylistic approach to the poetry of Taher Riyad, Al-Khatib, Rehab, (2005), Beirut, 1st edition, The Arab Institute for Studies and Publishing.
Mohammed Sayed Ali Abdel-Aal, (2018), Labeed and the Round Memory (Echoes of the Text and Mirrors of the Biography), Cairo, Library of Arts.
Muftah, Mohammed, (1992), Analysis of Poetic Discourse: The Strategy of Intertextuality, Beirut, 3rd Edition, the Arab Cultural Center.
Mustari, Elias, and Ben Bouziane, Salim (2019 AD), Intertextuality in the Diwan of Abdalrahim Al-Burai, Journal of the Faculty of Arts and Languages, University of Mohammed Kheidar, Biskra, Volume 12, No. 25, 389-400.
Qasim, Al-Masoud, (2017), Intertextuality in Diwan Antil Ala Alhawa by Abdullah

Hammadi, Journal of Algerian Poetry Mokhbar Notebooks, Fourth Issue, 117, 129.
Qibouj, Abdel-Aziz, (D.T), forms of Quranic Intertextuality in Ancient Algerian Poetry, Al-Thaghri Al-Tlemsani's Poetry as a Model, (Unpublished Research).
Salima, Athawry, (2012), the Poetics of Intertextuality in the Arabic Novel, Cairo, Vision for Publication and Distribution.
Samuel, Tiffin, (2007), intertextuality, the memory of literature, translated by: Najeeb Azzawi, Damascus, Publications of the Arab literary men and Writers Union.
Taimur, Ahmed, (1956), Colloquial Proverbs, Cairo, 2nd Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi Press, Egypt, Timurid Publications Committee.
Wa ghalisi, Youssef, (2007), Methods of Literary Criticism, Algeria, 1st Edition, Jusoor for Publication and Distribution.
Wasel, Essam, (2011), Heritage Intertextuality in Contemporary Arab Poetry, Jordan, 1st Edition, Dar Ghaida for Publishing and Distribution.